ملتقى طلاب وطالبات جامعة الملك فيصل

الأستاذ/صلاح السميح

ملخص

العقيدة الأسلامية والمذاهب المعاصرة

اعداد/ إدارة اعمال ١

١٠ صفر ١٤٣٧

المحاضرة الأولى

المبحث الأول : تعريف العقيدة وخصائصها وأهمية دراستها

تعريف العقيدة لغة واصطلاحاً :

معنى العقيدة لغة : مأخوذة من عقد الحبل وشده ليكون أشد استيثاقاً.

ثم استعيرت للمعاني مثل عقد اليمين، وعقد البيع والنكاح، ونحوها كما في قوله تعالى : (لاَ يُؤَاخِذُكُمُ اللّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الأَيْمَانَ) [المائدة:٨٩] وقوله عز وجل: (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ) [المائدة:] . كما استعملت في الأمور القلبية كالنية والإرادة والقصد، والعزم المؤكد، وما يدين به الإنسان سواء كان حقاً أو باطلاً. وعليه فمدار كلمة (عقد) باستعمالها الحسي أو المعنوي أو القلبي حول الوثوق والثبات والصلابة في الشيء.

ب- معنى العقيدة اصطلاحاً (بالمفهوم العام) :

هي الإيمان الجازم الذي لا يتطرق إليه شك لدى معتقده، ويجب أن يكون مطابقاً للواقع، لا يقبل شكاً ولا ظنا .

ج- تعريف العقيدة الإسلامية (بالمفهوم الخاص) :

هي الإيمان الجازم بالله، وما يجب له في ألوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته، والإيمان بملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، وبكل ما جاءت به النصوص الصحيحة من أصول الدين وأمور الغيب وأخباره، وما أجمع عليه السلف الصالح

وبهذا يكون التعريف قد اشتمل على :

أركان الإيمان الستة التي هي أركان العقيدة الإسلامية.

مصادر العقيدة الإسلامية، والتي هي : القرآن الكريم، والسنة النبوية، والإجماع.

خصائص العقيدة الإسلامية :

يقصد بخصائص العقيدة صفاتها البارزة المميزة لها عما سواها من العقائد والمذاهب الأخرى.

وهنا سيتم عرض كل خاصية من خصائص العقيدة الإسلامية من حيث معناها وأثرها والدليل عليها، وهذه الخصائص كثيرة، من أهمها :

١ - أنها ربانية المصدر :

إن العقيدة الإسلامية مصدرها وحي إلهي رباني، وذلك باعتمادها على الكتاب والسنة وإجماع السلف، ولهذا يجب أن يوقف بها عند الحدود التي بينها الوحي، فلا مجال فيه لزيادة أو نقصان، أو تعديل أو تبديل، إذ إن هذا الوحي تلقاه الرسول صلى الله عليه وسلم ليهتدي به، ويدل عليه. ولا توجد هذه الخاصية في العقائد والمذاهب الأخرى، التي تعتمد على العقل والنظر أو علم الكلام والفلسفة أو الإلهام والكشف، أو الرؤى والأحلام، أو على أشخاص يزعمون لهم العصمة (غير الأنبياء)، أو يزعمون إحاطتهم بعلم الغيب (من أئمة أو رؤساء أو أولياء أو نحوهم)، أو على غير ذلك من المصادر البشرية الناقصة .

وتورث هذه الخاصية : عصمة الأمة من الخطأ والزلل والانحراف ، لأنها تستند على الوحي من الله ، ودليل هذه الخاصية قوله عز وجل : (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلاَمَ دِيناً) .

٢ - الوضوح وموافقة العقل الصحيح والفطرة السليمة :

تمتاز العقيدة الإسلامية بالوضوح والبيان، وخلوها من التعارض والتناقض والغموض، والتعقيد في ألفاظها ومعانيها، لأنها مستمدة من كلام الله المبين. وهي تتلخص في أن لهذه المخلوقات إلهاً واحداً مستحقا للعبادة، هو الله تعالى الذي خلق الكون البديع المنسق وقدر كل شيء فيه تقديراً، وأن هذا الإله ليس له شريك ولا شبيه ولا صاحبة ولا ولد، فهذا الوضوح يناسب العقل السليم لأن العقل دائما يطلب الترابط والوحدة .

ولقد أفنى كثير من الفلاسفة وأهل الكلام من المسلمين أعمارهم في مناهجهم العقلية المجردة حتى وقعوا في الحيرة والشك والندم، ثم رجعوا إلى منهج الكتاب والسنة .

والذي يؤكد وضوح العقيدة الإسلامية أيضاً أنها ليست مناقضة للعقول الصحيحة، وليست غريبة عن الفطرة السليمة، بل هي على وفاق تام وانسجام كامل معها.

وتورث هذه الخاصية : السلامة من الاضطراب في الدين، ومن القلق والشك والشبهات، وتحفظ أوقات الأمة من إهدارها في أشياء غير نافعة توسد أصحابها أكف الحيرة.

ودليل هذه الخاصية : قوله تعالى: (أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ) .

٣- الثبات والدوام :

العقيدة الإسلامية ثابتة دائمة، بمعنى أنها متفقة ومستقرة ومحفوظة، في ألفاظها ومعانيها، تناقلها الأجيال جيلاً بعد جيل، لم يتطرق إليها التبديل ولا التحريف، ولا التلفيق ولا الالتباس، ولا الزيادة ولا النقص . وسبب هذا هو ثبات مصادرها ودوامها؛ لأن الله تعالى تكفل بحفظها، فهي عقيدة ثابتة ثبات مصادرها دائمة بدوامها محفوظة بحفظ الله لها. فليس لحاكم أو مجمع من المجامع العلمية أو مؤتمر من المؤتمرات الدينية ليس لأولئك جميعا و لا لغيرهم أن يضيفوا إليها شيئا أو يحذفوا منها شيئا، وكل إضافة أو تحوير مردود على صاحبه يقول النبي صلى الله عليه وسلم : « من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد» .

وتورث هذه الخاصية : ضمان وحدة كلمة الأمة على منهج واحد وتصور واحد، عندما تلتقي على الوحي الإلهي بما فيه من موازيين لا تضطرب ولا تتأثر بالأهواء .

ودليل هذه الخاصية : قول الله عز وجل: (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) [الحجر:٩] .

٤- الشمول والتكامل :

إن العقيدة الإسلامية عقيدة شاملة فيما تقوم عليه من أركان الإيمان وقواعده، وشاملة في نظرتها للوجود كله، تعرفنا على الله، والكون والحياة والإنسان معرفة صحيحة شاملة. ومن صور شمولها أنها لا تختص ببيئة أو عصر أو جنس، بل هي عقيدة عامة كتب الله لها البقاء إلى قيام الساعة. وهي مع هذا الشمول مترابطة ترابطاً وثيقاً، فأركان الإيمان مثلاً لو حصل الكفر بواحد منها أو إنكار له، حصل الكفر بها جميعاً .

وهذه الخاصية تورث : حفظ العبد المسلم من الاتجاه لغير الله في أي شأن من شؤونه، أو قبول أي سيطرة تستعلي عليه بغير سلطان الله.

ودليل هذه الخاصية : قوله تعالى : (قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ).

٥- أنها عقيدة مبرهنة :

تتميز العقيدة الإسلامية بأنها عقيدة مبرهنة تقوم على الحجة والدليل، ولا تكتفي في تقرير قضاياها بالخبر المؤكد والإلزام الصارم، بل تحترم العقول، فالقرآن الكريم حين يدعو الناس إلى الإيمان بمفردات العقيدة يقيم على ذلك الأدلة الواضحة من آيات الأنفس والآفاق، ولا يدعوهم إلى التقليد الأعمى أو الاتباع على غير هدى، بل إنه يأمرهم أن يطلبوا البرهان والدليل، ويدعو إلى التبصر والتعقل إلى حد لا يصل إلى الغلو في العقل والتوغل فيه .

وتورث هذه الخاصية : قوة اليقين في نفوس أصحابها بما معهم من الحق، فتقوى صلتهم بالله، ويكمل تحقيقهم العبودية له وحده

ودليل هذه الخاصية : قوله تعالى : (قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ)[يوسف:١٠٨]، وقوله تعالى : (وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) [البقرة:١١١] .

أهمية دراسة العقيدة الأسلامية

تظهر أهمية دراسة العقيدة الإسلامية من خلال الأمور التالية :

١- أنها الغاية من خلق الجن والإنس، قال تعالى : (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) [الذاريات:٥٦] ، ومعنى (لِيَعْبُدُونِ) : أي : ليوحدوني .
٢- أن العقيدة الصحيحة هي الحق الذي أرسلت من أجلها جميع الرسل، وأنزلت الكتب، كما في قوله عز وجل : (وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ) [النحل:٣٦] ، (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ) [الأنبياء:٢٥] .
٣- أنها سبب سعادة الخلق في الدنيا والآخرة، قال عز وجل : (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) [النحل:٩٧] . وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصاً من نفسه ».
٤- أنها طريق النجاة من النار، قال صلى الله عليه وسلم : « فإن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله» .
٥- أن الله حرم مخالفتها، قال عز وجل : (قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا) [الأنعام:١٥١].
٦- أن الله جعل الالتزام بها شرطاً لصحة الأعمال وقبولها، قال عز وجل : (بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) [البقرة:١١٢]
٧- أنها تحرر العقل من الأوهام والشبهات والخرافات، قال عز وجل : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا)[النساء:١٧٤] .

المحاضرة الثانية

المبحث الثاني : مصادر العقيدة الإسلامية

المراد بمصادر العقيدة :_ هي الموارد التي تستفاد وتستنبط من خلالها حقائق العقيدة الإسلامية، وهذه الموارد هي التي سلكها السلف الصالح في إثبات العقائد الإلهية .

ومصادر العقيدة الإسلامية هي : القرآن الكريم، والسنة النبوية، ومصدر ثالث تابع للقرآن والسنة وهو الإجماع.

١ - المصدر الأول : القرآن الكريم:

أ- تعريف القرآن في اللغة والاصطلاح :

في اللغة : من مادة قرأ قراءة وقرآناً بمعنى : الجمع والضم . سمي به القرآن لأنه يجمع السور فيضمها قال تعالى: (إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ) [القيامة:١٧] أي : تأليف بعضه إلى بعض .

في الاصطلاح : يعرف بأنه : " كلام الله المنزل على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، المتعبد بتلاوته، المعجز بلفظه، المكتوب في المصاحف، المنقول بالتواتر" .

ب - مصدرية القرآن في مسائل الاعتقاد :

اتفقت كلمة المسلمين جميعاً على أن القرآن كلام الله، وحجة من أعظم حججه على عباده، وأبلغها دلالة، و"أنه كلية الشريعة، وعمدة الملة، وينبوع الحكمة، وآية الرسالة، ونور الأبصار والبصائر، وأنه لا طريق إلى الله سواه، ولا نجاة بغيره، ولا تمسك بشيء يخالفه« وهذا كله لا يحتاج إلى مزيد تقرير واستدلال؛ لأنه معلوم من الدين بالضرورة، وركيزة أساسية من ركائز العقيدة الإسلامية، عند كل مقر بهذا الدين، ومؤمن به .

ولو نظرنا في تقرير مصدرية القرآن عند أهل السنة فإن القرآن عندهم مصدر وحجة في جميع قضايا الدين العلمية والعملية . وقد سماه الله عز وجل في محكم التنزيل فرقاناً؛ لأنه فرق بين الحق والباطل، قال تعالى : (تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا) [الفرقان:١] .

وهو الكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه : (لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ)[فصلت:٤٢]

والقرآن الكريم تعهد الله بحفظه دون غيره من الكتب السماوية : (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) [الحجر:٩] فهو محفوظ في لفظه ومعناه .

ولهذا فقد اعتنى الصحابة والتابعون، وسلف الأمة بالقرآن الكريم الذي أمر الله بالتحاكم إليه، وكانت عنايتهم شاملة لمعاني القرآن وألفاظه .

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : " والذي لا إله غيره ما أنزلت من القرآن إلا أنا أعلم أين نزلت، ولا أنزلت آية من كتاب الله إلا أنا علم فيمن أنزلت. ولو أعلم أحداً أعلم مني بكتاب الله تبلغه الإبل، لركبت إليه « .

وقال مجاهد بن جبر رحمه الله : "لقد عرضت القرآن على ابن عباس ثلاث عرضات، أقف عند كل آية أسأله، فيم أنزلت؟، وفيم كانت؟" .

قال ابن القيم رحمه الله : " فمضى الرعيل الأول، وضوء ذلك النور لم تطفئه عواطف الأهواء، ولم يلتبس بظلم الآراء، وأوصوا من بعدهم ألا يفارقوا ذلك النور، الذي اقتبسوه منهم".

والقرآن الكريم مصدر العقيدة الأول : يتناول بيان أركان الإيمان، ويسوق الأدلة والبراهين والشواهد عليها، ويرد على المخالفين للإسلام من أصحاب الديانات الأخرى ردودا مفحمة تبطل الباطل وتحق الحق، لاسيما في السور المكية التي يستغرق فيها موضوع العقيدة مساحة كبرى، بينما أكدت السور المدنية حقائق العقيدة وقضاياها وربطتها بالتشريعات العملية .

والقرآن الكريم في كثير من آياته يعرض أهم قضايا العقيدة ومحورها الرئيس وهو توحيد الله تعالى في ذاته وأسمائه وصفاته، وجلى في أوضح صورة معنى الربوبية والألوهية . وقرر حقائق التنزيه، وحطم عقائد الشرك والوثنية بكل مظاهرها، وصورها، وآثارها.

كما تناول قضايا النبوة والرسالة والوحي والكتب المنزلة، وفصَّل في الغيبيات كالمعاد والقيامة والجنة والنار، وجلى مسائل القدر.

المصدر الثاني : السنة النبوية أ- تعريف السنة في اللغة والاصطلاح :

في اللغة : تطلق على السيرة والطريقة حسنة كانت أو قبيحة .

وفي التنزيل : (وَما مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جاءَهُمُ الْهُدى وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلاَّ أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ)[الكهف:٥٥]، وجاء في الحديث قوله صلى الله عليه وسلم : ((من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء)).

في الاصطلاح :عرفها المحدِّثون بأنها : ((ما أثر عن النبي صلى الله عليه وسلم من قول، أو عمل، أو إقرار، أو صفة خَلقية، أو صفة خُلُقية، أو سيرة، سواء أكان ذلك قبل البعثة أم بعدها))

وتطلق السنة في مصطلح العَقَدِيين :مقابل البدعة؛ لتشمل ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، اعتقاداً، وقولاً وعملاً ، " فيقال فلان على سنة، إذا عمل على وفق ما عملوا، سواء كان ذلك مما نص عليه الكتاب أو لا".

ب-مصدرية السنة في مسائل الاعتقاد :

تعد مصدرية السنة النبوية الصحيحة ضرورة دينية ثابتة، بل إنها أصل ومصدر من مصادر العقيدة والشريعة. ولا يخالف في ذلك إلا من لاحظ له من دين الإسلام .

فقد جعل الله عز وجل طاعة صاحب السنة صلى الله عليه وسلم من لوازم الإيمان المصاحبة له، قال تعالى : (فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) [النساء:٦٥] قال ابن كثير رحمة الله في تفسير الآية : " يقسم تعالى بنفسه الكريمة المقدسة أنه لا يؤمن أحد حتى يحكم الرسول صلى الله عليه وسلم في جميع الأمور، فما حكم به فهو الحق الذي يجب الانقياد له باطناً وظاهراً «

ثم جعل في مخالفته صلى الله عليه وسلم النفاق والعصيان الموجب للخلود في النار، قال تعالى : (وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً) [النساء:١١٥] .

وتوافرت النصوص القرآنية في أمر المؤمنين بطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم والاستجابة له، ورد ما تنازعوا فيه إليه عند الاختلاف، وليس للمؤمنين الخيار إذا قضى الله ورسوله أمراً، مما يقتضي وجوب الإيمان بالسنة واتباعها، والاحتجاج والاستدلال بها .

قال الشافعي : "فكل من قبل عن الله فرائضه في كتابه قبل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم سنته بفرض الله طاعة رسوله على خلقه، وأن ينتهوا إلى حكمه . ومن قبل عن رسول الله فعن الله قبل، لما افترض الله من طاعته» .

والسنة النبوية مصدر من مصادر العقيدة ؛ لأنها وحي من الله تعالى، قال تعالى : (وَما يَنْطِقُ عَنِ الْهَوى (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحى النجم) [النجم:٣-٤]، وعندما أنكرت قريش على عبدالله بن عمرو رضي الله عنه كتابته لكل ما يسمعه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو بشر يتكلم في الغضب والرضا؛

أمسك عن الكتاب، وذكر ذلك للرسول صلى الله عليه وسلم فأومأ بإصبعه إلى فيه فقال : ((اكتب فوالذي نفسي بيده ما يخرج منه إلا حق)) ، ومما يؤكد مصدرية السنة وأنها وحي من الله قول النبي صلى الله عليه وسلم : ((ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه))

وعلى هذا فالسنة النبوية ملازمة للقرآن لا تنفصل عنه، والأخذ بما فيها كالأخذ بما في القرآن .

<u>ويبين ابن القيم رضي الله عنه حال السنة مع القران مؤكداً حجيتها، فيقول :</u>

" والسنة مع القران على ثلاثة أوجه :

أحدها : أن تكون موافقة له من كل وجه .

الثاني : أن تكون بيانا لما أريد بالقرآن وتفسيرا له .

الثالث : أن تكون موجبة لحكم سكت القرآن عن إيجابه، أو محرِّمة لما سكت عن تحريمه، لا تخرج عن هذه الأقسام، فلا تعارض القرآن بوجه ما، فما كان منها زائدا على القرآن فهو تشريع مبتدأ من النبي صلى الله عليه وسلم تجب طاعته فيه، ولا تحل معصيته، وليس هذا تقديما لها على كتاب الله، بل امتثال لما أمر الله به من طاعة رسوله صلى الله عليه وسلم " ثم استطرد ابن القيم في عرض أحاديث فيها أحكام زائدة على كتاب الله، وأخذ بها الناس كحديث منع الحائض من الصوم والصلاة، وحديث لا يرث المسلم الكافر ولا الكافر المسلم، وغيرها، إلى أن قال : "ولو تتبعنا هذا لطال جداً

فسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم أجل في صدورنا وأعظم وأفرض علينا أن لا نقبلها إذا كانت زائدة على ما في القرآن، بل على الرأس والعينين"

ولمصدرية السنة ومكانتها اعتنى الصحابة والتابعون وسلف الأمة بها وحفظوها بشتى الوسائل ككتابتها، وتبليغها، والتحري في نقلها، وتمييز صحيحها من سقيمها، والرحلة لطلب الحديث إلى الأمصار. قال أبو العالية رضي الله عنه : " كنا نسمع الرواية عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونحن بالبصرة فما نرضى حتى نأتيهم فنسمعها منهم « .

كما ضرب السلف الصالح رضي الله عنهم أروع الأمثلة وأصدق الصفات في الالتزام بأمر النبي صلى الله عليه وسلم وتعظيمه، والوقوف عند حدوده بدون زيادة أو نقصان، وقد ظهرت دلائل ذلك في مواقف عديدة منها :

أن عبد الله بن مغفل رضي الله عنه رأى رجلاً من أصحابه يخذف . فقال له : لا تخذف فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يكره الخذف - أو قال - ينهى عن الخذف، فإنه لا يصطاد به الصيد ولا ينكأ به العدو، ولكنه يكسر السن، ويفقأ العين . ثم رآه بعد ذلك يخذف ! فقال له : " أخبرك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يكره أو ينهى عن الخذف، ثم أراك تخذف ؟! لا أكلمك كذا وكذا . . «

<u>والسنة النبوية تناولت حقائق العقيدة الإسلامية في هذه المجالات :</u>

١. تقرير مسائل العقيدة، مع تفصيل ما أجمله القرآن الكريم منها .

٢. التدليل على العقائد الإسلامية بالأدلة المتنوعة .

٣. إثبات بطلان عقائد الديانات الأخرى كاليهودية والنصرانية والمجوسية والوثنية وغيرها .

٤. بيان أركان الإيمان ومكملاته، ونواقضه وخوارمه .

المصدر الثالث : الإجماع : تعريف الإجماع في اللغة والاصطلاح :

في اللغة: الإجماع من أجمع، يجمع، إجماعاً فهو مجمع، ويطلق ويراد به أحد معنيين :

أ- العزم المؤكد

ب- الاتفاق

والمعنى الثاني يتناسب مع المعنى الاصطلاحي للإجماع، لأن العزم قد يتصور من الواحد، بينما الاتفاق ليس كذلك .

في الاصطلاح : اتفاق مجتهدي أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، بعد وفاته، في عصر من العصور، على أمر من الأمور . أو باختصار : اتفاق مجتهدي العصر من هذه الأمة على أمر ديني .

ب - مصدرية الإجماع في مسائل الاعتقاد

يعد الإجماع مصدراً شرعياً عند جمهور العلماء( ). واستدلوا على ذلك بقوله تعالى : (وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا) [النساء:١١٥] . ومن السنة فقد دل على مصدرية الإجماع كثير من الأحاديث الواردة في الأمر بلزوم الجماعة كحديث : ((ألا فمن سره بحبحة الجنة، فليلزم الجماعة، فإن الشيطان مع الفذ، وهو من الاثنين أبعد))

وهناك أيضاً أحاديث عن الرسول صلى الله عليه وسلم تدل على عصمة الأمة في اجتماعها عن الخطأ، كحديث : ((إن الله لا يجمع أمتي – أو قال أمة محمد صلى الله عليه وسلم – على ضلالة، ويد الله مع الجماعة، ومن شذ شذ في النار)) .

والواقع أن للإجماع منزلته في الاستدلال على العقائد والأحكام عند أهل السنة، وهو يأتي في الدرجة والأهمية بعد الكتاب والسنة، وهذا مقتضى أمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه للقاضي شريح، وهو قول لابن مسعود وابن عباس، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : " كتب عمر إلى شريح : اقض بما في كتاب الله، فإن لم تجد فبما في سنة رسول الله، فإن لم تجد فبما به قضى الصالحون قبلك . وفي رواية فبما أجمع عليه الناس ".

ويحسن التنبيه إلى أن الإجماع في المسائل العقدية التي لا دخل للعقل ولا للاجتهاد فيها لا يعد دليلا منفصلاً عن الوحيين : الكتاب والسنة، ولكن قد يدل الإجماع بشكل إجمالي عليها. بمعنى أن الإجماع غير معتبر في إثبات أي أمر من الأمور الغيبية في مسائل الاعتقاد بدون نص من كتاب أو سنة.

ومن أمثلة القضايا العقدية التي استدل أهل السنة على إثباتها بالإجماع القول بأن الإيمان قول وعمل , وأن الله فوق سماواته ، واتصاف الباري بالمجيء والنزول والإتيان ، وأن القرآن كلام الله غير مخلوق، وغيرها من المسائل .

الأدلة الأخرى على مسائل العقيدة :

استدل أهل السنة بـ (العقل الصحيح، والفطرة السليمة) على مسائل العقيدة وذلك من باب الاعتضاد والإلزام وليس من باب المصدرية والاستقلال عن الوحي، لأن وبما أن المسلمين آمنوا بما جاءالعقول البشرية، والفطر الإنسانية قد تحيد وتضطرب وتنحرف، أو تقصر عن الإدراك، فهي ليست معصومة من الخطأ أو الضلالة.

وبما أن المسلمين آمنوا بما جاءت به العقيدة الإسلامية على الغيب فإنهم يستقون هذه العقيدة من المصدرين المعصومين : الكتاب والسنة، ويستدلون عليها بالإجماع التابع لهما، وأما العقل الصحيح، والفطرة السليمة فدورهما التأكيد والتأييد، كما أن من وظيفة العقل معرفة محاسن العقيدة التي جاء بها الإسلام، وهو أيضاً أداة في فهم النصوص الشرعية، واستخلاص المعاني المرادة منها.

لذا سوف نعرض بإيجاز لدليلي العقل الصحيح والفطرة السليمة، مع بيان دلالتهما على مسائل العقيدة التي لهما دور في إثباتها.

١ - العقل الصحيح :

أ- تعريف العقل في اللغة والاصطلاح

في اللغة : مصدر عقل يعقل عقلاً، وأصل معنى مادته الحبس والمنع، وسمي عقل الإنسان عقلاً، لأنه يعقله، أي : يمنعه من التورط في الهلكة.

كما أطلق العقل على معانٍ أخرى كثيرة كالدية ، وقوة الحجة والعقيلة من النساء : أي المرأة المخدرة، المحبوسة في بيتها .

وبناءً على ما تقدم يمكن القول أن العقل يطلق على معانٍ تفيد في مجملها : الربط والاستمساك والمنع والفهم، وهذه المعاني من صفات العقل الذي خصَّ الله به الإنسان، وميَّزه به عن سائر الحيوان، فهو الذي يمنع صاحبه من التورط في المهالك، ويرد النفوس عن هواها، وهو الذي يفرق به الإنسان بين الخير والشر، وبين النافع والضار .

في الاصطلاح : هو القوة المدركة في الإنسان الذي يملك بها التمييز، ويفهم بها الأشياء.

ب- دلالة العقل في مسائل الاعتقاد :

العقل يعد من الأدلة التي قد تدرك بعض أمور الدين، ومسائله الكبار، إذ إن العقل من وسائل المعرفة التي أشار إليها القرآن الكريم في أكثر من موضع . مادحاً المتعاطين لها، والواقفين عند أحكامها، وذاماً المعرضين عن ذلك، مشبهاً لهم بالأنعام، وهذه الوسائل هي السمع والبصر والفؤاد، قال تعالى : (وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ) [الأعراف:١٧٩] .

ودلالة العقل ثابتة بسلامة التوافق بين العقل الصريح والنقل الصحيح، فالدين بأصوله وفروعه لا يتعارض والمدركات العقلية، بل بينهما تعاضد وتأييد قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : " وليس في الكتاب، والسنة، وإجماع الأمة شيء يخالف العقل الصريح، لأن ما خالف العقل الصريح باطل، وليس في الكتاب والإجماع باطل، ولكن فيه ألفاظ قد لا يفهمها بعض الناس، أو يفهمون منها معنى باطلاً، فالآفة منهم لا من الكتاب والسنة « .

وبهذا ثبت أن العقل دليل من أدلة المعرفة الدينية، لكنه ليس مصدراً مستقلاً بل يحتاج إلى تنبيه الشرع، وإرشاده إلى الأدلة . ونشير هنا إلى أن العلوم ثلاثة أنواع، وأن للعقل مع كل نوع منها حكماً من حيث إمكان إدراكه لها :

الأول : العلوم الضرورية :

وهي التي لا يمكن التشكيك فيها، إذ إنها تلزم جميع العقلاء، ولا تنفك عنهم، كعلم الإنسان بوجوده، وأن الاثنين أكثر من الواحد، واستحالة الجمع بين النقيضين أو رفعهما، إلى غير ذلك مما يسمى بمعارف العقل الضرورية، والعقل يدرك هذه المعارف بالضرورة .

الثاني : العلوم النظرية :

وهي التي تكتسب بالنظر والاستدلال، وهذا النظر لابد في تحصيله من علم ضروري يستند إليه، حتى يعرف وجه الصواب فيه، وهذا القسم تدخل فيه كثير من العلوم، كالطبيعيات والرياضيات والطب والصناعات، وللعقل دور في إدراك هذه العلوم وتحصيلها وترقيتها .

الثالث : الغيبيات :

وذلك مثل ما في اليوم الآخر من بعث وحساب وجزاء، وتفاصيل ذلك، فهذا لا يعلم إلا عن طريق الخبر، ويدخل في ذلك كثير من مسائل الاعتقاد ولاسيما التفصيلية منها، وهذا النوع لا يعلم بواسطة العقل، وإنما عن طريق الوحي المعصوم .

والمسائل العقدية التي نسبت إلى دليل من العقل عند أهل السنة كثيرة، منها :

دلالة العقل على وجود الله تعالى، ووحدانيته، وعلوه على خلقه، وصدق الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأن البعث حق.

الفطرة السليمة : أ- تعريف الفطرة في اللغة والاصطلاح :

في اللغة : الفطرة من فطر الشيء، يفطره فطراً، وفطره أي شقة فانفطر وتفطَّر( ) .

وأصل الفطر : الشق، كما في قوله تعالى :(إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ) [الانفطار:١] أي : انشقت . وفي الحديث عن عائشة رضي الله عنها : (أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه) .

وفطر الله الخلق يفطرهم : خلقهم وبدأهم . والفطرة الابتداء والاختراع، قال تعالى : (الْحَمْدُ لِلَّـهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّـهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) [فاطر:١] .

وفي الاصطلاح : اختلف العلماء في معنى الفطرة على أقوال، أهمها وأشهرها أن الفطرة هي الإسلام ،. وأدلة ذلك كثيرة . استدل بها عامة السلف .

ب- دلالة الفطرة في مسائل الاعتقاد :

الفطرة من الأدلة الإسلامية التي دلت أيضاً على بعض العقائد، فقد روى الإمام مسلم أن رجلاً جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم يريد أن يعتق أمة له، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ائتني بها، فلما جاءه بها، قال لها النبي صلى الله عليه وسلم : (أين الله ؟) قالت : "في السماء"، قال : (من أنا ؟) قالت : "أنت رسول الله" قال : (أعتقها؛ فإنها مؤمنة) .

وهكذا فإن الجارية بادرت النبي صلى الله عليه وسلم بمحض الفطرة بأن الله في السماء - حين سألها أين الله؟

وقال القاسمي رحمه الله : "الشعور بوجود الله تعالى والإذعان بخالق قادر فوق المادة محيط من وراء الطبيعة أمر غريزي في الإنسان مفطور لا تغيره ريب المرتابين، ولا تزلزله شكوك المشككين، لأنه عقد في المرء طبع عليه جنانه، وتأثره لسانه وبيانه، ومن أثره ما يرى من انطلاق الألسنة في الكوارث، وما تندفع إليه في الحوادث من اللجأ إليه، والتضرع في دفع ما يمسها عليه انطلاقاً وتضرعاً لا يرده راد، ولا يصده صاد، ولو قيد لسان المضطر لنطق جنانه، وأفصحت مشاعره وأركانه، ووجد حرارة تدفعه إلى بارئه، وتضطره إلى الاستكانة لمنشئه حالة لا تزعزع رواسيها عواصف الشبهات، ولا تميل رواسخها رياح التمويهات، لا جرم أن هذا الشعور لا صنع فيه للبشر ولا كسب فيه بتقليد ولا نظر (فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) [الروم:٣٠] .

وفي الفطرة الإقرار لله بالكمال المطلق في أسمائه وصفاته، لا نقص فيه ولا عيب من وجه من الوجوه، فالذي يعلم ويبصر ويسمع ويتكلم ويقدر أكمل من العادم لذلك كما، قال عز وجل (فَأَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ) [النحل:١٧] فالتسوية منكرة في الفطر، وينكر ذلك على من سوى بينهما . كما قال تعالى عن إبراهيم الخليل (إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا) [مريم:٤٢] وقال تعالى عن عجل بني إسرائيل (وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِن بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ) [الأعراف:١٤٨] . فكل هذا الإنكار في الخطاب ليبين أن صفات الكمال مستقرة في الفطرة، وأن النافي لها قال قولاً منكراً في الفطر .

ودلت الفطرة أيضاً على علو الله تعالى على مخلوقاته وبينونته عنهم، بتوجههم بقلوبهم متضرعين إلى الله، فتسموا قلوبهم إلى السماء، وتشخص أبصارهم إليها . وهذا أمر متفق عليه بين الأمم التي لم تتغير فطرتها، يوجد ذلك عند الأعراب، والعجائز، والصبيان من المسلمين، ومن لم يقرأ كتاباً، ولم يتلق عن معلم ولا رسول .

وهكذا فالفطرة مكملة بالشريعة المنزلة، فإن الفطرة تعلم الأمر مجملا، والشريعة تفصله وتبينه، وتشهد بما لا تستقل الفطرة به .

ودلت الفطرة أيضاً أن أصول العبودية معلومة في الفطر، فالشرائع، أمر بمعروف ونهي عن منكر، وإباحة طيب، وتحريم خبيث، وأمر بعدل، ونهي عن ظلم، وهذا كله مركوز في الفطر، وكماله وتفصيله وتبيينه موقوف على الرسل . ولذا فإن الرسل بعثوا لتقرير الفطرة وتكميلها لا لتغيير الفطرة وتحويلها . وعلى هذا فمن المسائل العقدية التي نسبت إلى دليل الفطرة السليمة عند أهل السنة : إثبات وجود الله، و الإقرار لله بالكمال المطلق في أسمائه وصفاته، وعلو الله على خلقه .

ونختم هنا بما ذكر ابن القيم في نونيته من مدى توافق الحجة العقلية مع النقل الصحيح، والفطرة المستقيمة على الشهادة لله بالربوبية، والألوهية، والأسماء والصفات، وأن الفطرة السليمة من الأدلة التي يحتج بها، وتدل مع دلالة العقل والنقل على الحق الذي دعا إليه الرسول صلى الله عليه وسلم .

قال في ذلك : وأتى فريق ثم قال ألا اسمعوا قد جئتكم من مطلع الإيمان

من أرض طيبة من مهاجر أحـــ ـمد بالحق والبرهان والتبيان

سافرت في طلب الهدى فدلني الـ ـهادي عليه ومحكم القرآن

مع فطرة الرحمن جل حلاله متفرد بالملك والسلطان

وهو الإله الحق لا معبود إلا وجهه الأعلى العظيم الشان

بل كل معبود سواه فباطل من عرشه حتى الحضيض الداني

المحاضرة الثالثة

المبحث الثالث : منهج الاستدلال على مسائل العقيدة عند السلف

أولاً : من هم السلف؟

السلف الصالح : المراد بهم (كحقبة تاريخية) الصحابة ٪، والتابعون وأتباعهم من أهل القرون الثلاثة المفضلة، ممن عظم شأنهم، وتلقى المسلمون كلامهم بالرضا والقبول. ثم أصبح مذهب السلف علماً على ما كان عليه هؤلاء من التمسك بالكتاب والسنة، وتقديمهما على ما سواهما، والعمل بهما على مقتضى فهم الصحابة .

ثانياً : منهج السلف في الاستدلال على العقيدة :

يقوم منهج السلف في الاستدلال على العقيدة على الأسس التالية :

١. الإيمان بالنصوص الشرعية وتعظيمها :

آمن المسلمون بأن الله تعالى ربهم، ومليكهم، أرسل الرسل لهدايتهم، وأنزل معهم الكتاب والميزان، فما أخبر به الرسول عن الله، فالله أخبر به، وما أمر به الرسول، فالله أمر به، وهو العليم الحكيم.

وذكر أهل العلم أن الإيمان بنصوص الكتاب والسنة على ضربين : الله الرحمن

أحدهما : إيمان مجمل، وهذا من فروض الأعيان، فيجب على كل مسلم الإيمان بنصوص الكتاب والسنة، وإن لم يفهم معناها كعوام المسلمين، ومن لا يفهم العربية.

الثاني : إيمان مفصل، وهذا من فروض الكفاية، وهو خاص بكل من قام عنده الدليل، وظهر له معناه.

ومقتضى الإيمان بالنصوص الشرعية الذي كان عليه السلف هو : الاستسلام والخضوع والانقياد { فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا } [النساء:٦٥] .وحقيقة هذا الاستسلام : تعظيم أمر الله سبحانه ونهيه والإذعان لهما، والوقوف عند حدود ما أنزله الله على نبيه محمد ﷺ { ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ } [الحج:٣٢] .ولقد أكد السلف رحمهم الله على تعظيم النصوص، والوقوف عند حدودها، وعدم معارضتها، وضربوا في ذلك أروع الأمثلة، وأصدق الصفات، وأدق العبارات.

قال سفيان الثوري رحمه الله :" إن استطعت ألا تحك رأسك إلا بأثر فافعل" .

وقال ابن تيمية رحمه الله : " فكان من الأصول المتفق عليها بين الصحابة والتابعين لهم بإحسان : أنه لا يقبل من أحد قط أن يعارض القرآن برأيه، ولا ذوقه، ولا معقوله، ولا قياسه، ولا وَجْده . فإنهم ثبت عنهم بالبراهين القطعيات والآيات البينات أن الرسول جاء بالهدى ودين الحق، وأن القرآن يهدي للتي هي أقوم".

٢. حجية السُّنة (المتواترة والآحاد) في العقيدة بشرط أن تكون صحيحة :

اهتم سلف هذه الأمة بالسنة النبوية اهتماماً بالغاً، وعدّوها حجة بنفسها في جميع مسائل الدين : العلمية والعملية، والأرجح من أقوال أهل العلم هو عدم التفريق بين السنة المتواترة والآحادية في الاستدلال على مسائل العقيدة والاحتجاج بها.

وهذا مبني عندهم على أسس، منها :

أ- أن اتباع السنة هو من أعظم ما يقتضيه الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ .

ب- أن الرسول ﷺ أعلم الخلق بالله، وهو المبلّغ عنه دينه الذي ارتضاه للناس، وهو مؤتمن على وحي الله، فالحجة قائمة فيما يبلغه كله.

ج- أن الرسول ﷺ بلّغ جميع الدين ولم يكتم منه شيئاً، وأنه بلّغه أتم بلاغ وأبينه، فالتفريق بين أنواع سنته ﷺ لا يصلح أن يؤثر في الاحتجاج بها، اللهم إلا في باب الترجيح في حالة التعارض الظاهري بين النصوص.

٣. الالتزام بالكتاب والسنة لفظاً ومعنى :

وذلك باستعمال الألفاظ الواضحة الواردة في النصوص، دون الألفاظ المجملة التي تحتمل الحق والباطل، كألفاظ الفلاسفة والمتكلمين المتأثرين بهم، فلم يؤثر عن السلف استعمال مثل تلك الألفاظ التي عدوها من الألفاظ المحدثة الغريبة عن ألفاظ الوحي.

كتسمية الله عز وجل بالصانع، أو واجب الوجود، أو القديم، ونحو ذلك.

٤. ترك التأويل المذموم لنصوص الكتاب والسنة المتعلقة بالعقيدة :

وسبب ذلك هو عدم جواز صرف نصوص العقيدة عن ظاهرها بغير دليل شرعي ثابت عن المعصوم ﷺ، بل يجب اتباع المحكم وردّ المتشابه إليه.

ومن التأويل المذموم ما قد يكون بدعة كتأويلات المعتزلة ومن وافقهم، الذين يؤولون صفات الله عز وجل فيأولون صفة اليد لله عز وجل بالقدرة والقوة والنعمة، وصفة العين بالعلم والإحاطة، ونحو ذلك.

ومن التأويلات ما قد يكون كفراً كتأويلات الباطنية ، فالصيام المفروض عندهم هو كتمان أسرارهم، ويوم القيامة عندهم هو ظهور القائم، ونحو ذلك.

٥. عدم التفريق بين الكتاب والسنة في الاستدلال :

فالكتاب والسنة وحي من الله، والقبول لهما واجب على حدّ سواء، قال تعالى : (وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (3) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى) [النجم:٣-٤]، وقال ﷺ: " ألا إني أُوتيتُ القرآن ومثله معه " . وقال ﷺ: ((لا ألفين أحدكم متكأ على أريكته يأتيه الأمر مما أمرت به أو نهيت عنه فيقول لا أدري، ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه، ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه)) .

إذن يتمثل الوحي –بمعنى الموحى- في الإسلام بالقرآن الكريم والسنة والنبوية، وتختلف السنة عن القرآن بأن القرآن لفظه ومعناه منزل على الرسول ﷺ من ربه عز وجل .

أما السنة فإن اللفظ من الرسول ﷺ والمتلَّقى من الله عز وجل هو معناها .

٦. صحة فهم النصوص :

فصحة فهم النصوص ركيزة أساسية لصحة الاستدلال، ولا يستطيع المرء معرفة مراد الله تعالى، ومراد رسوله ﷺ إلا حينما يستقيم فهمه لدلائل الكتاب والسنة، وخاصة في هذا العصر الذي كثر فيه المتحدثون في أمور الدين عبر وسائل الإعلام المختلفة؛ كالفضائيات والإنترنت، فالمعرفة بهذه القواعد الأساسية التي يرتكز عليها الفهم الصحيح تمكّن من تمييز المتحدثين بحق من المنحرفين عن الفهم الصحيح.

وركائز الفهم الصحيح للنصوص كثيرة، منها :

أ- الاعتماد على فهم الصحابة لدلائل الكتاب والسنة؛ لكون الرسول ﷺ بين أظهرهم، كما عايشوا نزول الوحي؛ فهم أعلم الناس بمراد الله ومراد رسوله ﷺ .

وهذا الأمر يتأكد خاصة إذا كثرت البدع والأهواء، قال رسول الله ﷺ : ((فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضّوا عليها بالنواجذ)) .

ب - معرفة اللغة العربية وأساليب العرب في كلامهم.

نزل الوحي بلسان العرب، ويكون فهم دلائله على الوجه الصحيح بمعرفة لغة العرب التي نزل بها، والتي خاطب بها الرسول ﷺ أصحابه. ولهذا اعتنى سلف الأمة وعلماؤها بلغة القرآن حتى يوضع خطاب الشارع في موضعه اللائق به. وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يكتب إلى الآفاق : أن يتعلموا السنة والفرائض والنحو كما يتعلمون القرآن .

ج- جمع النصوص الواردة في المسألة الواحدة.

النصوص الثابتة تأتلف ولا تختلف لأنها خرجت من مشكاة واحدة، فلا يجوز أن يؤخذ نص ويترك نص آخر في الباب نفسه، والصواب أن تجمع النصوص بأي من طرق الجمع المذكورة عند علماء الأصول، ثم يؤخذ بها جميعاً.

ومن طرق الجمع بين النصوص : حمل العام على الخاص، والمطلق على المقيد، وردّ المجمل إلى المفصل، والمتشابه إلى المحكم.

المحاضرة الرابعة

المبحث الرابع : أركان الإيمان وأثرها في حياة الفرد والمجتمع

أ- تعريف الإيمان لغة وشرعاً :

(آمن) في لغة العرب له استعمالان :

فتارة يتعدى بنفسه فيكون معناه : الأمن والتأمين أي إعطاء الأمان. ومنه قوله تعالى : (وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ)[قريش:٤]

وتارة يتعدى بالباء أو اللام فيكون معناه : التصديق، كما في قوله تعالى : (وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا) [يوسف:١٧] وقوله (أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ) [البقرة:٧٥] .

والإيمان شرعاً، هو : اعتقاد بالقلب، وقول باللسان، وعمل بالجوارح .

وعلى هذا التعريف أجمع أئمة السلف وعلماؤهم، وقد نقل هذا الإجماع الإمام البغوي، والحافظ ابن عبد البر، والإمام اللالكائي، وغيرهم .

وأدلة هذا التعريف كثيرة، منها :

اعتقاد بالقلب :استدلوا بقوله تعالى : (قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ) [الحجرات:14 ، وقول النبي ﷺ (يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه).

قول باللسان :استدلوا بقوله تعالى :(قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ) البقرة136:، وقول النبي ﷺ ((أمرت أن أقاتل الناس، حتى يقولوا لا إله إلا الله، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها)) .

عمل الجوارح: استدلوا بقوله تعالى : (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ)[البقرة :١٤٣] ، أجمع المفسرون على أن المراد من (إِيمَانَكُمْ) : صلاتكم إلى بيت المقدس، فثبت أن الصلاة -وهي عمل -إيمان.

ودليل السنة قوله ﷺ(لا إيمان لمن لا أمانة له) .

أهم مسائل الإيمان :

يتعلق بتعريف الإيمان شرعاً ثلاث مسائل بها تميز أهل الحق، وأصحاب الاعتقاد السليم عن غيرهم من المذاهب الأخرى، وهذه المسائل هي : [زيادة الإيمان ونقصانه، والاستثناء في الإيمان، وحكم مرتكب الكبيرة] .

١ - زيادة الإيمان ونقصانه :ذهب جمهور السلف إلى أن الإيمان يزيد وينقص، واستدلوا على ذلك بأدلة كثيرة، منها :

قوله تعالى: (وَمَا زَادَهُمْ إِلاَّ إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا) [الأحزاب:٢٢] . وقوله تعالى : (وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا) [المدثر:٣١] .

ومن السنة قوله ﷺ : ((لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن)) أي : لا يفعل هذه المعصية وهو كامل الإيمان، وحديث : ((أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً)) .

ويزيد الإيمان بالطاعة وينقص بالمعصية، والمقصود هنا طاعة القلب والجوارح واللسان، ومعصيتها أيضاً. فالإيمان يزداد بالحب في الله، والبغض في الله، وحب الصحابة، والخوف والرجاء والتوكل، ويزداد بذكر الله، وتلاوة القرآن، وطلب العلم، والدعوة إلى الله، والقيام بجميع شعائر الدين. والإيمان ينقص بالابتداع في الدين، وبالحسد والكبر والعجب، والغفلة، وارتكاب الذنوب والكبائر.

٢. الإستثناء في الإيمان :

ومعناه : أن يقول العبد : أنا مؤمن إن شاء الله.

والسلف رحمهم الله يمنعون هذا الاستثناء إذا كان على سبيل الشك ؛ لأن الشك في ذلك كفر .

ويجوز الاستثناء في حال تجنب تزكية النفس بما يوهم استكمال الإيمان ، لأن العبد المسلم الذي يعتقد أن الإيمان اعتقاد وقول وعمل يزيد وينقص لا يجزم لنفسه بكمال الإيمان . قال ابن مسعود t : " من شهد على نفسه أنه مؤمن، فليشهد أنه في الجنة "

٣. حكم مرتكب الكبيرة :

تعريف الكبيرة : اختلف العلماء في تعريفها، إلا أن أشهر تلك التعريفات، وأقربها للصواب، ما نقل عن ابن عباس، وسعيد بن جبير، والحسن البصري، وغيرهم :

أن الكبائر : كل ذنب ختمه الله تعالى بنار أو غضب أو لعنة أو عذاب.

وأهل السنة أجمعوا على عدم كفر مرتكب الكبيرة، وهم لا يقطعون لمرتكب الكبيرة بالنار إذا مات قبل التوبة، وأنه إن دخلها أخرج منها، وختم له بالخلود في الجنة ، شريطة أن يموت على التوحيد .

قال الإمام البغوي رحمه الله :" اتفق أهل السنة على أن المؤمن لا يخرج عن الإيمان بارتكاب شيء من الكبائر إذا لم يعتقد إباحتها، وإذا عمل شيئاً منها، فمات قبل التوبة، لا يخلد في النار، كما جاء به الحديث، بل هو إلى الله، إن شاء عفا عنه، وإن شاء عاقبه بقدر ذنوبه، ثم أدخله الجنة برحمته".

وأدلة هذا المذهب كثيرة، منها :

قوله تعالى : (إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاء وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا) [النساء:٤٨]، يعني : إذا مات غير تائب من الشرك.

وقال تعالى : (وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٩) إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) [الحجرات:٩-١٠] .

ومعلوم أن القتل كبيرة من كبائر الذنوب ومع ذلك فإن الله تعالى لم يسلب عن هؤلاء المقاتلين اسم الإيمان، وسماهم المؤمنين، وإخوة في الدين.

ومن السنة حديث أبي ذر رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : ((أتاني جبريل ' فبشرني أنه من مات من أمتك لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة قلت : وإن زنى وإن سرق؟ قال : وإن زنى وإن سرق)) .

وهذا الحكم لا يقلل من خطر ارتكاب الكبائر، وأليم عواقبها في الدنيا والآخرة، كما يُخشى على مرتكبها أن تتراكم عليه الذنوب فتوصله إلى الكفر.

ج- أركان الإيمان :

يتلخص معتقد السلف الصالح ـ أهل السنة والجماعة ــ في أصول الإيمان؛ بوجوب التصديق بأركانه الستة كما أخبر النبي ﷺ في حديث جبريل ' لما جاء يسأله عن الإيمان؛ فقال ﷺ: ((أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره)) .

فالإيمان يقوم على هذه الأركان الستة؛ فإذا سقط منها ركن لم يكن الإنسان مؤمناً ألبتة؛ لأنه فقد ركناً من أركان الإيمان؛ وقد وردت الإشارة إلى هذه الأركان في بعض الآيات القرآنية كقوله تعالى : (لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ) [البقرة:١٧٧]، وقوله : (آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ) [البقرة:٢٨٥] .

المحاضرة الخامسة

الركن الأول : الإيمان بالله

أ- الإيمان بالله : من الإيمان بالله تعالى؛ الإيمان بوحدانيته وتفرده في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته، وذلك بإقرار أنواع التوحيد الثلاثة، واعتقادها، والعمل بها، وهي :

١- توحيد الربوبية. ٢ - توحيد الألوهية. ٣- توحيد الأسماء والصفات.

أو هو: توحيد الله بالمعرفة والإثبات(وهو توحيد الربوبية والأسماء والصفات)، وتوحيده بالإرادة والقصد (وهو توحيد الألوهية).فيتضمن النوع الأول : توحيد الله بأفعاله، والنوع الثاني : توحيد الله بأفعال العباد (وهي العبادة).

ب- الأمور التي يتضمنها الإيمان بالله : الإيمان بالله يتضمن أربعة أمور هي : الإيمان بوجود الله، والإيمان بربوبيته، وألوهيته، وأسمائه وصفاته، على النحو الآتي:

الأول : الإيمان بوجود الله تعالى : وقد دل على وجوده تعالى : [الفطرة، والعقل، والشرع، والحس] .

١- أما دلالة الفطرة على وجوده سبحانه : فإنَّ كل مخلوق قد فُطِر على الإيمان بخالقه من غير سبق تفكير، أو تعليم، ولا ينصرف عن مقتضى هذه الفطرة إلاَّ من طرأ على قلبه ما يصرفه عنها؛ لقول النبي ﷺ : " ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه و ينصرانه و يمجسانه " .

٢- وأما دلالة العقل على وجود الله تعالى؛ فلأن هذه المخلوقات : سابقها ولاحقها، لابد لها من خالق أوجدها، إذ لا يمكن أن توجد نفسها بنفسها؛ ولا يمكن أن توجد صدفة. قال تعالى: (أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ (35) أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ) [الطور:٣٥-٣٦]. يعني : أنهم لم يخلَقوا من غير خالق، ولا هم الذين خلَقوا أنفسهم؛فتعين أن يكون خالقهم هو الله تبارك وتعالى، ولهذا لما سمع جبير بن مطعم ﷺ-وكان مشركاً- رسول الله ﷺيقرأ هذه الآيات فكانت سبب تحوله للإيمان، قال " كاد قلبي أن يطير، وذلك أول ما وقر الإيمان في قلبي".

٣- وأما دلالة الشرع على وجود الله تعالى : فلأن الكتب السماوية كلَّها تنطق بذلك، وما جاءت به من الأحكام العادلة المتضمنة لمصالح الخلق ؛ دليل على أنها من رب حكيم عليم بمصالح خلقه.

٤- وأما أدلة الحس على وجود الله؛ فمن وجهين :

الوجه الأول: أننا نسمع ونشاهد من إجابة الداعين، وغوث المكروبين، ما يدل دلالة قاطعة على وجوده تعالى، قال الله سبحانه : (إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ) [الأنفال:٩].

الوجه الثاني : أنَّ آيات الأنبياء التي تسمى المعجزات ويشاهدها الناس، أو يسمعون بها، برهان قاطع على وجود مرسلهم، وهو الله تعالى؛ لأنها أمور خارجة عن نطاق البشر، يجريها الله تعالى على أيدي رسله ج ونصراً لهم .

الثاني : توحيد الربوبية :

تعريفه لغةً: الربوبية مصدر من الفعل " ربب"، ومنه : الربّ. فالربوبية صفة الله تعالى، وهي مأخوذة من اسمه الربّ.

والربُّ في كلام العرب يطلق على معان؛ منها : المالك، والسيد المطاع، والمصلح.

ومعناه في الاصطلاح : الاعتقاد الجازم بأن الله وحده رب كل شيء ومليكه، لا شريك له، وهو الخالق وحده وهو مدبر العالم والمتصرف فيه، وأنه خالق العباد ورازقهم ومحييهم ومميتهم، والإيمان بقضاء الله وقدره، وخلاصته أنه : توحيد الله تعالى بأفعاله.

الأدلة عليه : وقد قامت الأدلة النقلية والعقلية وكذلك الفطرة على تفرد الله تعالى بالربوبية :

فمن الكتاب قوله تعالى (الْحَمْدُ للَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) [الفاتحة:٢]، وقوله : (إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ) [الأعراف:٥٤] وقوله : (أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ) [الطور:٣٥].

ومن السنة :قوله ﷺ : " السيد هو الله تبارك وتعالى "

أما العقل السليم : فإنه يقر لله تعالى بالوحدانية وبأنه الخالق القادر؛ ولذلك دعا الله إلى إعمال العقل بالتفكر والتدبر في كثير من آيات القرآن، ومنها آية الطور المتقدمة، كما بيّن موقف أهل العقول والألباب إذا تأملوا خلق الله تعالى بقوله : (إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُوْلِي الأَلْبَابِ . الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ) [آل عمران:١٩٠-١٩١].

أما الفطرة : فهي من أعظم ما جبل الله عليه البشر، كما قال تعالى : (فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ) [الروم:٣٠] , وقوله: (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ) [الأعراف:١٧٢].

وهذه الفطرة هي التي تجعل الناس في حال الشدة والضيق يرجعون إلى الله ويستمدون منه العون والنجاة، كما حكى الله عن المشركين : (هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ) [العنكبوت:٦٥].

ثالثاً: حكم الإقرار بهذا التوحيد وحده :

الإقرار بهذا التوحيد وحده دون لازمه – وهو الإقرار باستحقاق الله للعبادة وحده- له حكمان :

الأول : دنيوي: وهو أنه لا يُكسب صاحبه صفة الإيمان، التي تعصم الدم والمال، حتى يلتزم بلازمه وهو توحيد الألوهية أي العبادة؛ ولذلك قاتل رسول الله ﷺ أهل الشرك ولم يقبل منهم إقرارهم بربوبية الله مع الإشراك به وترك عبادته تعالى وحده، كما قال تعالى عنهم : (وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُون)[العنكبوت:٦١].

الثاني أخروي: وهو أن من مات غير ملتزم لله بعبادته وحده لن ينجو من عذاب الله وإن أقر له بالربوبية وبعض الصفات. قال ﷺ: (لا تدخل الجنة إلا نفس مؤمنة).

رابعاً: مظاهر الانحراف في هذا التوحيد :

إن هذا التوحيد قد أقرت به العقول والفطر، ومع ذلك نجد من طمست فطرهم و ضلت عقولهم فانحرفوا عن الحق حتى في هذا التوحيد الذي الإقرار به ضرورة يجدها كل البشر في نفوسهم وخاصة في حال الشدة والخطر، رغم هذا فإن بعض الناس انحرفوا في هذا التوحيد على ثلاثة مناحي تجلت في المظاهر الآتية :

المظهر الأول: جحد ربوبية الله أصلاً، ومنها : وجوده تعالى كما يدّعيه الملاحدة الذين يسندون الوجود كله إلى فعل الطبيعة، كحال من ذكرهم الله تعالى من " الدهريين" بقوله :(وَقَالُوا مَا هِيَ إِلا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلا يَظُنُّونَ) [الجاثية:٢٤] ، ومن هؤلاء في عصرنا الشيوعيون والوجوديون وأصحاب المذاهب المادية .

المظهر الثاني: جحد بعض خصائص الرب تعالى وإنكارها، كمن ينفي قدرة الله على بعث الناس، كما قال تعالى::(وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ) [يس:٧٨].

المظهر الثالث: إعطاء شيء من خصائص الربّ لغيره من الخلق، كمن يعتقد وجود متصرف في الكون مع الله، أو نافع أو ضار معه تعالى، وكمن يغلو في الأولياء أو الأئمة أو غيرهم من الأحياء أو الأموات.

الثالث : توحيد الألوهية :

أولاً : معنى الألوهية : في اللغة : مشتقة من (الإله) : أي المعبود .

وفي الشرع : الاعتقاد الجازم بأن الله عز وجل هو : المعبود الحق لا معبود بحق سواه، وإفراده تعالى بالعبادة والخضوع والطاعة المطلقة، وأنْ لا يشرك به أحد كائناً من كان، ولا يصرف شيء من العبادة لغيره؛ كالصلاة، والصيام، والزكاة، والحج، والدعاء، والاستعانة، والنذر، والذبح، والتوكل، والخوف والرجاء، والحب، وغيرها من أنواع العبادة الظاهرة والباطنة، وأن يعبد الله بالحب والخوف والرجاء جميعا، وعبادته ببعضها دون بعض ضلال .

وخلاصته : هو إفراد الله بأفعال العباد . قال الله تعالى : (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) [الفاتحة:٥].

وتوحيد الألوهية : هو ما دعت إليه جميع الرسل، وإنكاره هو الذي أورد الأمم السابقة موارد الهلاك .

وهو الذي من أجله قاتل النبي ﷺ قومه ونابذهم العداء فإنهم كانوا يقرون بالنوع الأول، وهو توحيد الربوبية ولكنهم كانوا يصرفون العبادة لغير الله من الأصنام والأوثان . والدليل قوله تعالى :(وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ)[الزخرف:٨٧] .

ثانياً : طرق القرآن في تقرير هذا التوحيد :

سلك القرآن عدة طرقاً عدة في تقرير هذا التوحيد، منها :

١- الاستدلال بتوحيد الربوبية على توحيد الألوهية، من باب الإلزام به لأنه لما كان الله هو الخالق الرازق المحيي المميت وحده لزم أن يُعبد وحده دون سواه، فيجعل الأول دليلاً على الثاني، إذ كان الكفار يسلّمون بالأول وينازعون في الثاني، فيبين الله لهم أنكم إذا كنتم تعلمون أنه لا خالق إلا الله، وأنه تعالى هو الذي يملك نفع الناس، ويدفع عنهم ما يضرهم، لا شريك له في ذلك، فلمَ تعبدون غيره وتجعلون معه آلهة أخرى؟ قال تعالى :(أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَـوَتِ وَالأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِّنَ السَّمَآءِ مَآءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَآ أَءِلَـهٌ مَّعَ اللهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ) [النمل:٦٠]

٢- شهادة الله تعالى على توحيد الألوهية : وذلك في قوله تعالى : (شهد اللّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُواْ الْعِلْمِ قَآئِمَاً بِالْقِسْطِ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) [آل عمران:١٨]، فقد تضمنت هذه الآية أجلّ شهادة وأعظمها وأعدلها وأصدقها، من أجلّ مشهود، بأجلّ مشهود به. والمغزى من هذه الشهادة هو : الإلزام بها؛ لأن من معاني الشهادة في عبارات السلف : الحكم والقضاء، والإعلام، والبيان، والإخبار.

"والحكم والقضاء بأنه تعالى لا إله إلا هو متضمن للإلزام، إذ لو كان المراد مجرد شهادة لم يتمكنوا من العلم بها، ولم ينتفعوا بها، ولم تقم عليهم بها الحجة. بل قد تضمنت البيان للعباد ودلالتهم وتعريفهم بما شهد به، وإذا كان لا يُنتفع بها إلا ببيانها، فهو سبحانه قد بيّنها غاية البيان بطرق ثلاث : السمع، والبصر، والعقل" .

٣-الاستدلال بأسماء الله وصفاته على توحيد الألوهية : فقد يستدل تعالى بأسمائه وصفاته على وحدانيته وبطلان الشرك؛ كقوله في سورة الحشر : (هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ) [الحشر:٢٣]. فمن لا يماثل الله أو يشبهه في هذه الصفات العظيمة لا يكون شريكاً في الألوهية فيعبد مع الله أو من دونه.

ثالثاً: فضل توحيد الألوهية والتحذير من الشرك: إنَّ التوحيد هو أول ما يجب على العبد أن يعرفه، قال تعالى (فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ) [محمد:١٩] .

وفي بعض ألفاظ الحديث عن معاذ قال : قال كنت رديف النبي ﷺ فقال : ©يا معاذ ® قلت : "لبيك وسعديك" ثم قال مثله ثلاثا ©هل تدري ما حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا® ثم سار ساعة فقال يا معاذ قلت لبيك وسعديك قال : ((هل تدري ما حق العباد على الله عز و جل إذا فعلوا ذلك أن لا يعذبهم)) .

وحقيقة التوحيد هي معنى لا إله إلا الله الكلمة التي كان الرسول ﷺ يدعو الناس إليها، ويقول لهم : قولوا لا إله إلا الله تفلحوا، وقال ﷺ: ((أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله)) ، وتحقيق التوحيد سبيل السعادة في الدنيا والآخرة. ومخالفته سبيل للشقاوة .

وليس كل من قال لا إله إلا الله يكون موحداً بل لا بد من توفر شروط سبعة ذكرها أهل العلم :

١- العلم بمعناها والمراد منها نفياً وإثباتاً، فلا معبود بحق إلا الله تعالى.

٢- اليقين بمدلولها يقيناً جازماً.

٣- القبول لما تقتضيه هذه الكلمة بقلبه ولسانه.

٤- الانقياد لما دلت عليه.

٥- الصدق، فيقولها بلسانه ويوافق ذلك قلبه.

٦- الإخلاص المنافي للرياء.

٧- حب هذه الكلمة وما اقتضته.

كما يجب على المسلم أن يخاف من الشرك ويحذره بجميع أنواعه وأبوابه ومداخله أكبره وأصغره فإن أعظم الظلم الشرك، والله يغفر كل شيء إلا الشرك ومن وقع فيه فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار قال تعالى : (إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ ما دُونَ ذلِكَ لِمَنْ يَشاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرى إِثْمًا عَظِيمًا) [النساء:٤٨]

وقد رتب القرآن الكريم على الشرك، ثلاثة أمور :

١-إفساد العمل وإحباطه، قال تعالى : (وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ) [الزمر:٦٥] .

٢-التحريم على الجنة ودخول النار، قال تعالى : (إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ)[المائدة:٧٢]، ولمسلم عن جابر t، أن رسول الله ﷺ قال : ((من لقي الله لا يشرك به شيئاً دخل الجنة، ومن لقيه يشرك به شيئاً دخل النار)).

٣-عدم مغفرة الشرك إلا بالتوبة، قال تعالى : (إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ ما دُونَ ذلِكَ لِمَنْ يَشاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرى إِثْمًا عَظِيمًا) [النساء:٤٨]، وللترمذي وحسنه عن أنس t: سمعت رسول الله ﷺ يقول : ((قال الله تعالى : يا ابن آدم؛ لو أتيتني بقراب الأرض خطايا، ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة)) .

وهذه جملة من الأمور التي تنافي التوحيد أو تخل به كما ذكرها أهل العلم :

١- لباس الحلقة والخيط : أياً كان نوعها من صفر أو نحاس أو حديد أو جلد لرفع بلاء أو دفعه فهو من الشرك.

عن عمران بن حصين t، أن النبي ﷺ رأى رجلاً في يده حلقة من صفر، فقال : ((ما هذه؟)) قال : من الواهنة. فقال : ((انزعها فإنها لا تزيدك إلا وهناً، فإنك لو مت وهي عليك، ما أفلحت أبداً)) .

ولابن أبي حاتم عن حذيفة أنه رأى رجلاً في يده خيط من الحمى فقطعه، وتلا قوله : (وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ) [يوسف:١٠٦] .

٢- الرقى والتمائم الشركية : في الصحيح عن أبي بشير الأنصاري tأنه كان مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره، فأرسل رسولاً أن لا يبقين في رقبة بعير قلادة من وتر أو قلادة إلا قطعت. وعن ابن مسعود tقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : ((إن الرقى والتمائم والتولة شرك)) . وعن عبد الله بن عكيم مرفوعاً : ((من تعلق شيئاً وكل إليه)) .

(التمائم) : شيء يعلق على الأولاد من العين، لكن إذا كان المعلق من القرآن، فرخص فيه بعض السلف، وبعضهم لم يرخص فيه، ويجعله من المنهي عنه، منهم ابن مسعود t.

و(الرقى) : هي التي تسمى العزائم، وخص منه الدليل ما خلا من الشرك، فقد رخص فيه رسول الله ﷺ من العين والحمة، على أن يكون بالدعاء المأثور عن رسول الله ﷺ .

و(التولة) : شيء يصنعونه يزعمون أنه يحبب المرأة إلى زوجها، والرجل إلى امرأته.

٣- ومما يخل بالتوحيد التبرك بالأشخاص والتمسح بهم وطلب بركتهم أو التبرك بالأشجار والأحجار وغيرها وحتى الكعبة فلا تمسح بها تبركاً، قال عمر بن الخطاب t وهو يقبل الحجر الأسود : "إني أعلم أنك حجر لا تضر؛ ولا تنفع ولولا أني رأيت رسول الله يقبلك ما قبلتك" .

وفي الحديث الصحيح عن واقد الليثي ﷺوكان من أصحاب رسول الله ﷺ قال : لما افتتح رسول الله مكة خرج بنا معه قِبل هوزان حتى مررنا على سدرة الكفار : سدرة يعكفون حولها ويدعونها ذات أنواط قلنا : يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط قال رسول الله ﷺ: ((الله أكبر إنها السنن هذا كما قالت بنو اسرائيل لموسى: (اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ) [الأعراف:١٣٨])) ثم قال رسول الله ﷺ: ((إنكم لتركبن سنن من قبلكم)) .

قوله : "وللمشركين سدرة يعكفون عندها". العكوف هو الإقامة على الشيء في المكان، ومنه قول الخليل ': (إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَٰذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ) [الأنبياء:٥٢]، وكان عكوف المشركين عند تلك السدرة تبركا بها وتعظيما لها .

قوله : "وينوطون بها أسلحتهم" أي يعلقونها عليها للبركة.

٤- ومما ينافي التوحيد الذبح لغير الله كالأولياء والشياطين والجن لجلب نفعهم أو ضرهم فهذا من الشرك الأكبر، وكما لا يجوز الذبح لغير الله، ولا يجوز الذبح في مكان يذبح فيه لغير الله ولو كان قصد الذابح أن يذبح لله ـ وذلك سداً لذريعة الشرك .

قال تعالى : (قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيايَ وَمَماتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ (١٦٢) لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ) [الأنعام:١٦٢-١٦٣]، وقال : (فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ) [الكوثر:٢] وعن علي ﷺ قال : حدثني رسول الله ﷺبأربع كلمات : ((لعن الله من ذبح لغير الله، لعن الله من لعن ووالديه، لعن الله من آوى محدثاً، لعن الله من غير منار الأرض)) .

وعن طارق بن شهاب، أن رسول الله ﷺ قال : ((دخل الجنة رجل في ذباب، ودخل النار رجل في ذباب))قالوا : وكيف ذلك يا رسول الله؟! قال : ((مر رجلان على قوم لهم صنم لا يجوزه أحد حتى يقرب له شيئاً، فقالوا لأحدهما قرب قال : ليس عندي شيء أقرب قالوا له : قرب ولو ذباباً، فقرب ذباباً، فخلوا سبيله، فدخل النار، وقالوا للآخر: قرب، فقال : ما كنت لأقرب لأحد شيئاً دون الله عز وجل ، فضربوا عنقه فدخل الجنة)) .

<u>والدليل على سد الذرائع في الذبح :</u>

عن ثابت بن الضحاك t، قال : نذر رجل أن ينحر إبلاً ببوانة، فسأله النبي ﷺ فقال : ((هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد؟)) قالوا : لا. قال : ((فهل كان فيها عيد من أعيادهم؟)) قالوا : لا. فقال رسول الله ﷺ : ((أوف بنذرك، فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله، ولا فيما لا يملك ابن آدم)) .

وبوانة : موضع قريب من ينبع.

٥- ومما يخل بالتوحيد الغلو بالأولياء والصالحين، ورفعهم عن منزلتهم وذلك بالغلو في تعظيمهم أو رفع منزلتهم إلى منزلة الرسل أو ظن العصمة فيهم، أو الطواف بقبورهم والتمسح بها، أو السجود لها .

وهذا الغلو هو سبب أول شرك وقع في الأرض، وهو شرك قوم نوح.

قال تعالى حاكيا عنهم {وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا} [نوح:٢٣] .

وفي (الصحيح) عن ابن عباس * في قول الله تعالى : {وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا } قال : "هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصاباً وسموها بأسمائهم، ففعلوا، ولم تعبد، حتى إذا هلك أولئك ونسي العلم، عبدت".

وقال ابن القيم رحمه الله : قال غير واحد من السلف : لما ماتوا عكفوا على قبورهم ثم صوروا تماثيلهم، ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم

وعن عمر أن رسول الله ﷺقال : ((لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبد، فقولوا : عبد الله ورسوله)) .

وهذا يبين أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين ولذا قال الله : {يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ } [النساء:١٧١] .

٦- ومما يخل بالتوحيد التعلق بالأسباب كالطبيب والعلاج والوظيفة وغيرها وعدم التوكل على الله، والمشروع هو أن نبذل الأسباب كطلب العلاج والرزق ولكن مع تعلق القلب بالله لا بهذا السبب .

ومن هذا الباب الاستعانة بغير الله مما لا يقدر عليه إلا الله .

عن ابن عباس * قال : كنت خلفت رسول الله ﷺ يوما فقال : ((يا غلام إني أعلمك كلمات احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف)).

٧- ومن ذلك الاستسقاء بالنجوم والأنواء والمواسم واعتقاد أن النجوم هي التي تقدم المطر أو تأخره، بل الذي ينزل المطر ويمنعه هو الله فقل : "مطرنا بفضل الله ورحمته".

عن أبي مالك الأشعري ﷺأن رسول الله ﷺ قال : ((أربعة في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن : الفخر بالأحساب، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة)) وقال : ((النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب)) .

ولهما عن زيد بن خالد ﷺقال : صلى بنا رسول الله ﷺصلاة الصبح بالحديبية على إثر سماء كانت من الليل، فلما انصرف أقبل على الناس فقال : ((هل تدرون ماذا قال ربكم؟)) قالوا : الله ورسوله أعلم. قال : ((قال : أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال : مطرنا بفضل الله ورحمته، فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب، وأما من قال : مطرنا بنوء كذا وكذا، فذلك كافر بي مؤمن بالكواكب)) .

٨- ومما ينافي التوحيد صرف شيء من أنواع العبادة القلبية لغير الله مثل صرف المحبة المطلقة أو الخوف المطلق للمخلوقات .

الرابع : توحيد الأسماء والصفات :

ومعناه : الإيمان بأن الله ﷻ متصف بجميع صفات الكمال، ومنزه عن جميع صفات النقص، وأنه متفرد عن جميع الكائنات، وذلك بإثبات ما أثبته سبحانه لنفسه أو أثبته له رسوله ﷺ من الأسماء والصفات الواردة في الكتاب والسنة من غير تحريف ألفاظها أو معانيها، ولا تعطيلها بنفيها أو نفي بعضها عن الله ﷻ، ولا تكييفها بتحديد كنهها وإثبات كيفية معينة لها، ولا تشبيهها بصفات المخلوقين.

قال تعالى : { لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} [الشورى:١١]، وقال تعالى : { وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ } [الإخلاص:٤] .

وطريقة أهل السنة والجماعة في أسماء الله وصفاته كما يأتي :

١- في الإثبات : يثبتون ما أثبته الله لنفسه في كتابه أو على لسان رسوله من غير تحريف، ولا تعطيل، ومن غير تكييف، ولا تمثيل، ولا تجسيم.

٢- في النفي : ينفون ما نفاه الله عن نفسه في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ مع اعتقادهم ثبوت كمال ضده لله تعالى؛ إذ إن كل ما نفاه الله عن نفسه فهو صفات نقص تنافي كماله الواجب؛ فجميع صفات النقص كالعجز والنوم والموت ممتنعة على الله تعالى لوجوب كماله، وما نفاه عن نفسه فالمراد به انتفاء تلك الصفة المنفية، وإثبات كمال ضدها؛ وذلك أن النفي المحض لا يدل على الكمال حتى يكون متضمناً لصفة ثبوتية يُحمد عليها كما في قوله تعالى : (لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ) [البقرة:٢٥٥]، وقوله : (وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ) [ق:٣٨].

٣- التوقف : وذلك فيما لم يرد إثباته أو نفيه مما تنازع الناس فيه كالجسم مثلاً، والحيز، والجهة ونحو ذلك، فطريقتهم فيه التوقف في لفظه؛ فلا يثبتونه ولا ينفونه، لعدم ورود النص بذلك.

ومن أهم مظاهر الانحراف عن هذا التوحيد الإلحاد في أسماء الله وصفاته :

والإلحاد في اللغة هو : الميل، ومنه اللحد في القبر، ويُقصد بالملحدين : المائلون عن الحق .

أما في الاصطلاح : فهو العدول عما يجب اعتقاده أو عمله.

والإلحاد في أسماء الله هو : العدول بها وبحقائقها ومعانيها عن الحق الثابت لها، وله أنواع :

١- أن ينكر شيئاً مما دلت عليه من الصفات كفعل المعطلة.
٢- أن يجعلها دالة على تشبيه الله بخلقه، كفعل أهل التمثيل.
٣- أن يُسمي الله بما لم يُسمِّ به نفسه؛ لأن أسماء الله توقيفية، كتسمية النصارى له : أباً، وتسمية الفلاسفة إياه : علة فاعلة، أو تسميته بمهندس الكون، أوالعقل المدبر، أو غير ذلك.
٤- أن يشتق من أسمائه أسماء للأصنام، كاشتقاق اللات من : الإله، والعُزَّى من : العزيز.
٥- وصفه تعالى بما لا يليق به، وبما ينزه عنه، كقول اليهود : بأن الله تَعِبَ من خلق السماوات والأرض، واستراح يوم السبت، أو قولهم : إن الله فقير.

الخامس: ثمرات الإيمان بالله تعالى

١. سعادة القلب وطيب الحياة، قال تعالى : (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) [النحل:٩٧] .

٢. أداء العبادات بنفس راضية، وحب وتسليم، قال ﷺ : ((عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله خير وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له)) .

٣. النجاة في الحياة الآخرة والفوز بالجنان .

٤. ما من صفة لله تعالى؛ إلا وللإيمان بها ثمرات عظيمة وآثار كبيرة مترتبة على ذلك الإيمان، فالعبد إذا آمن بصفات)العلم، والإحاطة، والمعية(، أورثه ذلك الخوف من الله ِ المطلع عليه الرقيب الشهيد، وإذا آمن بصفة(السمع)، علم أنَّ الله يسمعه، فلا يقول إلا خيراً، وإذا آمن بصفات (البصر، والرؤية، والنظر، والعين(علم أنَّ الله يراه فلا يفعل إلا خيراً ... وهكذا

المحاضرة السادسة

الركن الثاني: الإيمان بالملائكة

الإيمان بالملائكة : هو الإيمان بوجودهم إيماناً جازماً لا يتطرق إليه شك.

ومن ينكر وجود الملائكة؛ فقد كفر، لقوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِن قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا) [النساء:١٣٦]، وقال تعالى : (مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ) [البقرة:٩٨] .

والإيمان بالملائكة هو الإيمان بهم إجمالاً، وأما تفصيلاً فما صحّ به الدليل، ومن سماه الله ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم منهم كجبريل الموكل بالوحي، وميكائيل الموكل بالمطر، وإسرافيل الموكل بالنفخ في الصور، وملك الموت الموكل بقبض الأرواح (ولم يثبت عزرائيل اسماً لملك الموت في الكتاب أو السنة)، ومالك خازن النار، وملكي السؤال في القبر : (منكر ونكير).

قال تعالى:(مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ)[البقرة:٩٨] ، وقال تعالى : (وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ) الزخرف:٧٧] .

- **كما أنه يعني الإيمان بوجودهم، وأنهم عباد مخلوقون خلقهم الله من نور، وهم ذوات محسوسة، وليسوا أموراً معنوية ولا قوى خفية، وأنهم خلق من خلق الله، ويسكنون السماء.**

  والملائكة خلقتهم عظيمة، ولهم أجنحة؛ فمنهم من له جناحان ومنهم من له ثلاثة، أو أربعة أجنحة، ومنهم من له أكثر من ذلك. قال تعالى : (الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) [فاطر:١] .

- **وهم جند من جنود الله، قادرون على التمثل بأمثال الأشياء، والتشكل بأشكال جسمانية كما حدث مع ضيف إبراهيم ’، ومع مريم، وجبريل مع النبي ﷺعندما كان يأتيه في صورة الصحابي دحية الكلبي، وكما وقع في الحديث المشهور بحديث جبريل.**

- **وهم مقربون من الله ومكرمون، لا يوصفون بالذكورة ولا الأنوثة ولا يتناكحون ولا يتناسلون.**

كما أنهم لا يأكلون ولا يشربون، قد جبلوا على الطاعة وعدم العصيان، خلقهم الله لعبادته وتنفيذ أوامره، قال تعالى عنهم : (وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمنُ وَلَدًا سُبْحانَهُ بَلْ عِبادٌ مُكْرَمُونَ (٢٦) لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ (٢٧) يَعْلَمُ ما بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وما خَلْفَهُمْ وَلا يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ (٢٨)) [الأنبياء:٢٦-٢٨] .

والملائكة كثيرون لا يعلم عددهم إلا الله ِ، قال تعالى : (وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا كَذَٰلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ)

وقد حجبهم الله تعالى عنا؛ فلا نراهم في صورهم التي خلقوا عليها، ولكن كشفهم لبعض أنبيائه، كما رأى النبي ﷺ جبريل على صورته التي خلقه الله عليها مرتين، قال الله تبارك وتعالى : (وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى (١٣) عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى (١٤))[النجم:١٣-١٤] ، وقال تعالى : (وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ)[التكوير:٢٣] .

أصناف الملائكة: منهم الموكلون بحمل العرش، ومنهم الموكلون بالوحي، ومنهم الموكل بالجبال، ومنهم خزنة الجنة وخزنة النار. ومنهم الموكلون بحفظ أعمال العباد، ومنهم الموكلون بقبض أرواح المؤمنين، ومنهم الموكلون بقبض أرواح الكافرين، ومنهم الموكلون بسؤال العبد في القبر. ومنهم من يستغفر للمؤمنين ويصلون عليهم ويحبونهم، ومنهم من يشهد مجالس العلم

وحلقات الذكر؛ فيحفونهم بأجنحتهم، ومنهم من هو قرين للإنسان لا يفارقه، ومنهم من يدعو العباد إلى فعل الخير، ومنه من يشهد جنائز الصالحين، ويقاتلون مع المؤمنين ويثبتونهم في جهادهم مع أعداء الله. ومنهم الموكلون بحماية الصالحين وتبشيرهم، ومنهم الموكلون بالعذاب.

ثمرات الإيمان بالملائكة : والإيمان بالملائكة، يثمر ثمراتٍ جليلةً منها :

١- العلم بعظمة الله تعالى، وقوته، وسلطانه، فإن عظمة المخلوق تدل على عظمة الخالق.

فقد روى أبو داود عن جابر بن عبد الله * أن رسول الله ﷺ قال : ((أذن لي أن أحدث عن حملة العرش ما بين شحمة أذنه وعاتقه مسيرة سبعمائة عام)) وفي رواية قال : ((تخفق الطير)) .

٢- شكر الله تعالى على عنايته ببني آدم، حيث وكَّل من هؤلاء الملائكة من يقوم بحفظهم، وكتابة أعمالهم، وغير ذلك من مصالحهم .

٣- الاستقامة على أمر الله لأن العبد يعلم أن كل شيء محسوب ومكتوب ومشهود عليه فيستحيي من الله وجنوده، فلا يعصيه لا في العلانية ولا في السر، بل يلازم الطاعات رغبة في كتابتهم الخير والشهادة عليه .

٤- محبة الملائكة على ما خصوا به من خصال حسنة، كعبادة الله تعالى، وعدم قربهم ممن تلبس بمعصية، كما أن الملائكة لا تدخل الأماكن والبيوت التي يعصى فيها الله .

روى البزار بإسناد صحيح عن بريدة ﷺأن الرسول ﷺقال : ((ثلاثة لا تقربهم الملائكة : السكران، والمتضمخ بالزعفران (أي على سبيل التكبر والخيلاء)، والجنب))وفي سنن أبي داود بإسناد حسن عن عمار بن ياسر عن الرسول ﷺ : ((ثلاثة لا تقربهم الملائكة : جيفة الكافر، والمتضمخ بالخلوق، والجنب إلا أن يتوضأ)) .

والخلوق : ضرب من الطيب .

وقال ﷺ : ((لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب ولا صورة تماثيل)) .

الركن الثالث : الإيمان بالكتب

هو الاعتقاد الجازم بأن الله أنزل على رسله كتباً فيها: أمره، ونهيه، ووعده ووعيده، وما أراده الله من خلقه، وفيها هدى ونور، وأن الله أنزل كتبه على رسله لهداية البشرية، قال تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا) [النساء:١٣٦] .

وهذه الكتب هي: القرآن، والتوارة، والإنجيل، والزبور، وصحف إبراهيم وموسى، وأعظمها: التوراة والإنجيل والقرآن، وأعظم الثلاثة وناسخها وأفضلها: القرآن.

ويتضمن الإيمان بالكتب أموراً أربعة هي :

١- الإيمان بأن نزولها من عند الله حقًا، وأنها جاءت بالنور والحق والهدى وتوحيد الله، وما ورد فيها خلاف ذلك فهو من صنع البشر، قال تعالى : (قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ)[البقرة:١٣٦] .

٢-الإيمان بما علمنا اسمه منها باسمه : كالقرآن الذي نزل على محمد ﷺ والزبُور الذي أوتيه داود، والإنجيل الذي أنزل على عيسى، والتوراة التي أنزلت على موسى، والصحف التي أنزلها الله على إبراهيم وموسى، وأما ما لم نعلم اسمه فنؤمن به إجمالاً، قال تعالى : (كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ) [البقرة:٢١٣]، ولا ننسب كتاباً إلى الله سوى ما نسبه لنفسه مما أخبرنا في القرآن الكريم.

٣- تصديق ما صح من أخبارها، كأخبار القرآن، وأخبار ما لم يبدل أو يحرف من الكتب السابقة.

٤- العمل بأحكام ما لم ينسخ منها، والرضا و التسليم به سواء أفهمنا حكمته أم لم نفهمها، وجميع الكتب السابقة منسوخة بالقرآن العظيم قال الله تعالى : (وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ) [المائدة:٤٨] أي (حاكمًا عليه) .

وعلى هذا فلا يجوز العمل بأي حكم من أحكام الكتب السابقة إلا ما صح منها، وأقره القرآن أو الرسول ﷺ .

كما أن القرآن الكريم قد خصه الله بمزايا تميز بها عن جميع ما تقدمه من الكتب المنزلة، فهو بالإضافة إلى تضمنه خلاصة التعاليم الإلهية، وأنه للثقلين (الجن والإنس) كافة، فقد تعهد الله بحفظه لتقوم به الحجة على العباد إلى يوم الدين .

ثبوت تحريف أهل الكتاب (اليهود والنصارى) لكتبهم :

عندما أنزل الله الكتب – عدا القرآن – لم يتكفل بحفظها؛ بل استحفظ عليها الأحبار والربانيين، لكنهم لم يحافظوا عليها، وما رعوها حق رعايتها؛ فحصل فيها تغيير وتبديل.

قال تعالى : (أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ)

من قواعد الإيمان بالقرآن :

١. اعتقاد عموم دعوة القرآن وشريعته لجميع الثقلين (الجن والإنس).
٢. اعتقاد نسخه لجميع الكتب السابقة، فلا يجوز التعبد الله – عبادةً أوحكماً- بغير هذا القرآن العظيم.
٣. سماحة الشريعة التي جاء بها، والتخفيف الذي اتسمت به تعالميه، بخلاف ما كان مفروضا على الناس قبل نزوله.
٤. أنه مشتمل على أوجه كثيرة من الإعجاز.
٥. أنه تضمن خلاصة تعاليم الكتب السابقة وأصول شرائع الرسل قبل نبينا محمد ﷺ .
٦. أنه مشتمل على أخبار الرسل والأمم السابقة بتفصيل لم يسبق إليه كتاب قبله.
٧. أنه آخر ما نزل من الكتب وخاتمها والشاهد عليها.
٨. أن الله تكفل بحفظه .

ثمرات الإيمان بالكتب : والإيمان بالكتب يثمر ثمراتٍ جليلةً منها :

١- العلم بعناية الله تعالى بعباده، حيث أنزل لكل قوم كتابًا يهديهم به.

٢-العلم بحكمة الله تعالى في شرعه، حيث شرع لكل قوم ما يناسب أحوالهم، كما قال الله تعالى : (وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ) [المائدة:٤٨].

٣- عبادة الله على بصيرة.

الركن الرابع: الإيمان بالرسل

هو الاعتقاد الجازم بأن الله أرسل إلى عباده رسلاً مبشرين ومنذرين، ودعاة إلى دين الحق، لهداية البشر، وإخراجهم من الظلمات إلى النور.

ولم تخل أمة من رسول يبعثه الله تعالى بشريعة مستقلة إلى قومه، أو نبي يوحى إليه بشريعة من قبله ليجددها، قال الله تعالى : (وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ)والرسل بشر مخلوقون ليس لهم من خصائص الربوبية والألوهية شيء، قال الله تعالى عن نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وهو سيد المرسلين وأعظمهم جاهاً عند الله : (قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) [الأعراف:١٨٨] .

وتلحقهم خصائص البشرية من المرض، والموت، والحاجة إلى الطعام والشراب، وغير ذلك، قال الله تعالى عن إبراهيم عليه السلام في وصفه لربه تعالى : (وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ)[الشعراء:٧٩-٨١] .

وقال النبي ﷺ : ((إنما أنا بشر مثلكم أنسى كما تنسون فإذا نسيت فذكروني)) .

وقد وصفهم الله تعالى بالعبودية له في أعلى مقاماتهم، وفي سياق الثناء عليهم فقال تعالى في نوح عليه السلام: (ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا) [الإسراء:٣] وقال في محمد ﷺ : (تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا) [الفرقان:١] .

يتضمن الإيمان بالرسل أموراً أربعة، هي :

١- الإيمان بأن رسالتهم حق من الله تعالى، فمن كفر برسالة واحد منهم فقد كفر بالجميع . كما قال الله تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا * أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا * وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا) [النساء:١٥٠-١٥٢] .

٢- الإيمان بمن علمنا اسمه منهم باسمه مثل : محمد وإبراهيم، وموسى، وعيسى ونوح ج ، وهؤلاء الخمسة هم أولو العزم من الرسل، وأما من لم نعلم أسمه منهم فنؤمن به إجمالاً قال الله تعالى : (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ) [غافر:٧٨] .

٣- تصديق ما صح عنهم من أخبارهم.

العمل بشريعة من أرسل إلينا منهم، وهو خاتمهم محمد ﷺالمرسل إلى جميع العالمين إنسهم وجنهم.

خصائص نبينا محمد ﷺ :لقد خص الله تبارك وتعالى نبينا محمد ﷺ بكثير من الخصائص فضله بها على سائر الأنبياء، منها :

١. **عموم رسالته ﷺ للثقلين : (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ)[سبأ:٢٨] .**

٢. **أنه خاتم الأنبياء والمرسلين : (مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا)[الأحزاب:٤٠] .**

٣. أن الله أيده بأعظم آية وهو : القرآن الكريم، كلام الله المحفوظ من التحريف والتبديل .

٤. أن أمته خير الأمم وأكثر أهل الجنة .

٥. أنه صاحب الشفاعة العظمى يوم القيامة .

من حقوق النبي محمد على أمته :

١. الإيمان المفصل برسالته ونبوته، واعتقاد نسخها لجميع الرسالات السابقة.

٢. الإيمان بأنه بلّغ الرسالة وبيّنها أتم بيان، لم يكتم منها شيئاً.

٣. محبته ﷺوتقديم هذه المحبة على النفس وسائر الخلق.

٤. تجنب الغلو فيه، والحذر من ذلك فإن في ذلك أعظم الأذية له ﷺ.

محبة أهل بيته وأزواجه وأصحابه، وموالاتهم جميعاً وعدم تنقّص أحد منهم أو سبه أو الطعن فيه.

٥. الإكثار من الصلاة والسلام عليه ﷺ .

ثمرات الإيمان بالرسل :

١. العلم برحمة الله تعالى وعنايته بعباده، حيث أرسل إليهم الرسل ليهدوهم إلى صراطه تعالى، ويبينوا لهم كيف يعبدونه .

٢. اليقين بحسن عاقبة المتقين المطيعين لله والصابرين، كما تبين ذلك من قصص الأنبياء مع أقوامهم وانتصارهم على أعدائهم

٣. محبة الرسل عليهم الصلاة والسلام وتعظيمهم، واتخاذهم المثل الأعلى والقدوة الحسنة للمؤمن .

المحاضرة السابعة

الركن الخامس : الإيمان باليوم الآخر

معناه الاعتقاد الجازم والتصديق الكامل؛ بيوم القيامة، والإيمان بكل ما أخبر به الله ـ في كتابه، وأخبر به رسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم مما يكون بعد الموت، وحتى يدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار.

الأمور التي يتضمنها الإيمان باليوم الآخر : يتضمن الإيمان باليوم الآخر إيمان العبد بكل ما ثبت في النصوص الشرعية من أمور الغيب التي تكون بعد الموت، ومنها :

أ - أشراط الساعة، وهي نوعان :

الأشراط الصغرى : وهي تدل على قرب الزمان من الآخرة، مثل بعثة الرسول ﷺ، وانشقاق القمر، وغربة الإسلام، ووضع الأحاديث المكذوبة على رسول الله ﷺ، وكثرة الكذب، وعدم التثبت في نقل الأخبار، ورفع العلم، وكثرة الجهل، وتفشي الزنا في الطرقات، وشرب الخمر، وظهور المعازف، وكثرة النساء وقلة الرجال، وكثرة الزلازل، وتقارب الزمان، وقلة البركة في الأوقات، وانتفاخ الأهلة، وتقارب الأسواق، والسلام على المعارف، وقطيعة الرحم، وسوء الجوار، والتباهي في زخرفة المساجد، وفتح روما كما فتحت القسطنطينية ... إلى غير ذلك من علامات الساعة الصغرى الثابتة في الأحاديث الصحيحة.

والأشراط الكبرى : وهي التي تدل على أن الساعة قد قربت جداً، ومنها : وهي الواردة في حديث حذيفة بن أسيد الغفاري ﷺ، قال : اطَّلَع النبي ﷺعلينا ونحن نتذاكر، فقال : ((ما تذاكرون؟)) قالوا : نذكر الساعة، قال : ((إنها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات –فذكر- : الدخان، والدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى بن مريم ﷺ، ويأجوج ومأجوج، ثلاثة خسوف : خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم).

ب- فتنة القبر وسؤال الملكين: وهي سؤال الميت بعد دفنه عن ربه، ودينه، ونبيه، فيثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت، فيقول : ربي الله، وديني الإسلام، ونبي محمد ﷺ. ويضل الله الظالمين فيقول الكافر هاه، هاه، لا أدري . ويقول المنافق أو المرتاب لا أدري سمعت الناس لا أدري سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته.

ج- عذاب القبر ونعيمه: فيكون العذاب للظالمين من المنافقين والكافرين قال الله تعالى عن آل فرعون : (فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ)[غافر:٤٤] .

وفي صحيح مسلم من حديث زيد بن ثابت عن النبي ﷺ قال : ((فلولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذي أسمع منه)) ثم أقبل بوجهه فقال : ((تعوذوا بالله من عذاب النار)) قالوا : نعوذ بالله من عذاب النار. فقال : ((تعوذوا بالله من عذاب القبر)) قالوا : نعوذ بالله من عذاب القبر. قال : ((تعوذوا بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن)) قال : ((تعوذوا بالله من فتنة الدجال)) قالوا : نعوذ بالله من فتنة الدجال ، قالوا : نعوذ بالله من فتنة الدجال .

وأما نعيم القبر فللمؤمنين الصادقين قال الله تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتابٌ عَزِيزٌ)[فصلت:٤١].

وعن البراء بن عازب ﷺأن النبي ﷺقال في المؤمن إذا أجاب الملكين في قبره : ((فينادى مناد من السماء أن صدق عبدي فافرشوه من الجنة، وألبسوه من الجنة، وافتحوا له باباً إلى الجنة، قال فيأتيه من روحها وطيبها، ويفسح له في قبره مد بصره).

د - الإيمان بالبعث : وهو إحياء الموتى حين ينفخ في الصور النفخة الثانية، فيقوم الناس لرب العالمين، حفاة غير منتعلين، عراة غير مستترين، غرلاً غير مختتنين، قال الله تعالى : (يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ)[الأنبياء:١٠٤].

والبعث : حق ثابت دل عليه الكتاب، والسنة، وإجماع المسلمين . قال الله تعالى : (ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ * ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ) وقال النبي : ((يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلاً)) .

وأجمع المسلمون على ثبوته، وهو مقتضى الحكمة حيث تقتضي أن يجعل الله تعالى لهذه الخليقة معاداً يجازيهم فيه على ما كلفهم به على ألسنة رسله قال الله تعالى : (أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ)[المؤمنون:١١٥].

هـ - الإيمان بالحساب والجزاء : يحاسب العبد على عمله، ويجازى عليه، وقد دل على ذلك الكتاب، والسنة، وإجماع المسلمين، قال الله تعالى : (إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم) [الغاشية:٢٥-٢٦]، وعن ابن عمر * أن النبي ﷺ قال : ((إن الله يدني المؤمن فيضع عليه كنفه ويستره، فيقول : أتعرف ذنب كذا؟ أتعرف ذنب كذا؟ فيقول: نعم أي رب حتى إذا قرره بذنوبه، ورأى أنه قد هلك قال : قد سترتها عليك في الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم، فيعطى كتاب حسناته، وأما الكفار والمنافقون فينادى بهم على رؤوس الخلائق : هؤلاء الذين كذبوا على ربهم، ألا لعنة الله على الظالمين)) .

وقد أجمع المسلمون على إثبات الحساب والجزاء على الأعمال، وهو مقتضى الحكمة فإن الله تعالى أنزل الكتب، وأرسل الرسل، وفرض على العباد قبول ما جاءوا به، والعمل بما يجب العمل به منه، وأوجب قتال المعارضين له وأحل دماءهم، وذرياتهم، ونساءهم، وأموالهم. فلو لم يكن حساب ولا جزاء؛ لكان هذا من العبث الذي ينزه الرب الحكيم عنه، وقد أشار الله تعالى إلى ذلك بقوله : (فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ * فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ) [الأعراف:٦-٧] .

و- الإيمان بالجنة والنار: وأنهما المآل الأبدي للخلق، فالجنة دار النعيم التي أعدها الله تعالى للمؤمنين المتقين، الذين آمنوا بما أوجب الله عليهم الإيمان به، وقاموا بطاعة الله ورسوله، مخلصين لله متبعين لرسوله . فيها من أنواع النعيم ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر . وقال تعالى : (فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) [السجدة:١٧] .

وأما النار فهي دار العذاب التي أعدها الله تعالى للكافرين الظالمين، الذين كفروا به وعصوا رسله، فيها من أنواع العذاب والنكال ما لا يخطر على البال، قال الله تعالى : (وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا)[الكهف:٢٩] .

الإيمان بسائر المغيبات التي بعد الموت إلى الجزاء

ومن الإيمان باليوم الآخر، الإيمان بكل ما يكون من أمور الغيب بعد الموت، مما أخبر به الله ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم من :

- النفخ في الصور، وهي ثلاث نفخات :

الأولى : نفخة الفزع.

الثانية : نفخة الصعق : التي يتغير بها العالم المشاهد ويختلف نظامه، وفيها الفناء والصعق، وفيها هلاك من قضى الله إهلاكه.

الثالثة : نفخة البعث والنشور والقيام لرب العالمين.

- والإيمان بالميزان الذي له كفتان توزن به أعمال العباد.

- وبنشر الدواوين، وهي صحائف الأعمال، فآخذٌ كتابه بيمينه، وآخذ كتابه بشماله، أو من وراء ظهره.
- والصراط منصوب على متن جهنم، يتجاوزه الأبرار، ويزل عنه الفجار.
- وأن أمة محمد ﷺ أولى الأمم محاسبة يوم القيامة، وأولى الأمم في دخول الجنة، وهم نصف أهل الجنة، ويدخل الجنة منهم سبعون ألفاً بغير حساب.
- وبأن حوض نبينا النبي ﷺ في عرصات القيامة ماؤه أشد بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل، وريحه أطيب من المسك، وآنيته عدد نجوم السماء، وطوله شهر وعرضه شهر، من شرب منه لا يظمأ أبدا، ويحرم ذلك على من ابتدع في الدين، قال النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم : ((حوضي مسيرة شهر، ماؤه أبيض من اللبن، وريحه أطيب من المسك، وكيزانه كنجوم السماء، من شرب منه لا يظمأ أبدا)) .
- والشفاعة والمقام المحمود لنبينا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم يوم القيامة، وشفاعته لأهل الموقف لفصل القضاء بينهم هي القضاء المحمود، وشفاعته لأهل الجنة أن يدخلوا الجنة، ويكون الرسول صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم أول داخل فيها، وشفاعته لعمه أبي طالب أن يخفف عنه من العذاب .

وهذه الشفاعات الثلاث خاصة بالنبي ﷺ وليس لأحد غيره:

وشفاعته ﷺ لرفع درجات بعض أمته ممن يدخلون الجنة إلى درجات عليا، وشفاعته ﷺ لطائفة من أمته يدخلون الجنة بغير حساب

وشفاعته ﷺ في أقوام قد تساوت حسناتهم وسيئاتهم فيشفع فيهم ليدخلوا الجنة، وفي أقوام آخرين قد أمر بهم إلى النار أن لا يدخلوها.

والشفاعة في إخراج عصاة الموحدين من النار، فيشفع لهم فيدخلون الجنة .

وهذه الشفاعة تشاركه فيها الملائكة، والنبيون، والشهداء، والصديقون، والصالحون، والمؤمنون، ثم يخرج الله - تبارك وتعالى - من النار أقواماً بغير شفاعة؛ بل بفضله ورحمته .

فأما الكفار فلا شفاعة لهم، لقوله تعالى : (فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ) [المدثر:٤٨] .

وعمل المؤمن يوم القيامة يشفع له أيضا، كما أخبر بذلك النبي ﷺ فقال : ((الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة)) .

ثمرات الإيمان باليوم الآخر:

١. صلاح العبد في نفسه، وذلك بالرغبة في فعل الطاعة والحرص عليها رجاء لثواب ذلك اليوم، والرهبة عند فعل المعصية خوفاً من عقاب ذلك اليوم .
٢. تسلية المؤمن عما يفوته من الدنيا بما يرجوه من نعيم الآخرة وثوابها .

الركن السادس: الإيمان بالقدر

ومعناه : الاعتقاد الجازم بأن الله قضى (أي حكم وفصل) وقدّر (أي أحاط بمقدار كل شيء مما هو كائن) في الأزل .

وملخصه : هو ما سبق به العلم وجرى به القلم، مما هو كائن إلى الأبد، قال تعالى : (إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ)[القمر:٤٩] .

مراتب القدر : للقدر أربع مراتب دلت عليها النصوص وقررها أهل العلم، وهي :

المرتبة الأولى : العلم : الإيمان بأن الله تعالى عالم بكل ما كان، وما يكون، وما لم يكن، لو كان كيف يكون؛ جملة وتفصيلاً، وأنه علم ما الخلق عاملون قبل خلقهم، وعلم أرزاقهم وآجالهم وأعمالهم وحركاتهم وسكناتهم، وعلم منهم الشقي والسعيد، وذلك بعلمه القديم الذي هو موصوف به أزلاً، قال الله تعالى : (وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) [البقرة:٢٣١] .

المرتبة الثانية : الكتابة : وهي الإيمان بأن الله كتب ما سبق به علمه من مقادير المخلوقات في اللوح المحفوظ، وهو الكتاب الذي لم يفرط فيه من شيء؛ فكل ما جرى وما يجري وكل كائن إلى يوم القيامة؛ فهو مكتوب عند الله تعالى في أمّ الكتاب، ويسمى : الذكر، والإمام، والكتاب المبين، قال تعالى : (إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ) [يس:١٢] وقال النبي ﷺ: "إن أول ما خلق الله القلم فقال : اكتب، قال : ما أكتب ؟ قال : اكتب القدر؛ ما كان، وما هو كائن إلى الأبد". وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص ~ قال : سمعت رسول الله ﷺ : ((كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة)) .

المرتبة الثالثة : الإرادة والمشيئة : أي : أن كل ما يجري في هذا الكون فهو بإرادة الله ومشيئته الدائرة بين الرحمة والحكمة، يهدي من يشاء برحمته، ويضل من يشاء بحكمته، لا يسأل عما يفعل لكمال حكمته وسلطانه، وهم يسألون، وما وقع من ذلك؛ فإنه مطابق لعلمه السابق المكتوب في اللوح المحفوظ، فمشيئة الله نافذة، وقدرته شاملة، ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن؛ فلا يخرج عن إرادته شيء. قال تعالى : (وَمَا تَشَاءُونَ إِلا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ) [التكوير:٢٩]. وقال النبي ﷺ: ((إن قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن، كقلب واحد؛ يصرفه حيث يشاء)) .

المرتبة الرابعة : الخلق :

وهي الإيمان بأن الله خالق كل شيء، لا خالق غيره ولا رب سواه، وأن كل ما سواه مخلوق؛ فهو خالق كل عامل وعمله، وكل متحرك وحركته، قال الله تعالى : (بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) [الأنعام:١٠١] .

والإيمان بالقدر على ما وصفنا لا ينافي أن يكون للعبد مشيئة في أفعاله الاختيارية وقدرة عليها، لأن الشرع والواقع دالان على إثبات ذلك له :

أما الشرع : فقد قال الله تعالى في المشيئة : (ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ مَآبًا)[النبأ:٣٩] وقال في القدرة: (فاتّقُوا الله ما اسْتطعْتُمْ واسْمعُوا وأطِيعُوا وأنْفِقُوا خيْرا لِأنْفُسِكُمْ ومنْ يُوق شُحّ نفْسِهِ فأُولئِك هُمُ الْمُفْلِحُون) [التغابن:١٦] .

وأما الواقع : فإن كل إنسان يعلم أن له مشيئة وقدرة بهما يفعل وبهما يترك، ويفرق بين ما يقع بإرادته كالمشي، وما يقع بغير إرادته كالارتعاش، لكن مشيئة العبد وقدرته واقعتان بمشيئة الله تعالى وقدرته لقول الله تعالى : (لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ * وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ) [التكوير:٢٨-٢٩] ولأن الكون كله ملك لله تعالى فلا يكون في ملكه شيء بدون علمه ومشيئته.

والإيمان بالقدر لا يمنح العبد حجة على ما ترك من الواجبات أو فعل من المعاصي، وعلى هذا فاحتجاجه به باطل من وجوه :

الأول : قوله تعالى : (سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ) [الأنعام:١٤٨] ولو كان لهم حجة بالقدر ما أذاقهم الله بأسه، ولكان عذابه لهم ظلماً، والله منزه عنه.

الثاني : قوله تعالى : (سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ)[النساء:١٦٥] ولو كان القدر حجة للمخالفين لم تنتف بإرسال الرسل، لأن المخالفة بعد إرسالهم واقعة بقدر الله تعالى .

الثالث : ما رواه البخاري ومسلم واللفظ للبخاري عن علي بن أبي طالب tأن النبي ﷺقال : ((ما منكم من أحد إلا قد كتب مقعده من النار أو الجنة)) فقال رجل من القوم : ألا نتكل يا رسول الله ؟ قال : ((لا، اعملوا فكل ميسر، ثم قرأ (فَأَمَّا مَن أَعْطَى وَاتَّقَى) [الليل:٥] الآية)) وفي لفظ لمسلم : ((فكل ميسر لما خلق له)) فأمر النبي ﷺ بالعمل ونهى عن الإتكال على القدر.

الرابع : فيما يقع تحت دائرة الحس فإننا نرى الإنسان يحرص على ما يلائمه ثم يحتج على عدو له بالقدر، فلماذا يعدل عما ينفعه في أمور دينه إلى ما يضره ثم يحتج بالقدر؟ أليس شأن الأمرين واحداً؟

وإليك مثالاً يوضح ذلك : لو كان بين يدي الإنسان طريقان أحدهما : ينتهي به إلى بلد كلها فوضى : قتل، ونهب، وانتهاك للأعراض، وخوف، وجوع. والثاني : ينتهى به إلى بلد كلها نظام، وأمن مستتب، وعيش رغيد،، فأي الطريقين يسلك؟ إنه سيسلك الطريق الثاني الذي ينتهي به إلى بلد النظام والأمن، ولا يمكن لأي عاقل أبداً أن يسلك طريق بلد الفوضى، والخوف، ويحتج بالقدر، فلماذا يسلك في أمر الآخرة طريق النار دون الجنة ثم يحتج بالقدر؟

الخامس : أن المحتج بالقدر على ما تركه من الواجبات أو فعله من المعاصي، لو اعتدى عليه شخص فأخذ ماله أو انتهك حرمته ثم احتج بالقدر، وقال : لا تلمني فإن اعتدائي كان بقدر الله، لم يقبل حجته. فكيف لا يقبل الاحتجاج بالقدر في اعتداء غيره عليه، ويحتج به لنفسه في اعتدائه على حق الله تعالى؟

ويذكر أن– أمير المؤمنين – عمر بن الخطاب t رفع إليه سارق استحق القطع، فأمر بقطع يده فقال : "مهلاً يا أمير المؤمنين، فإنما سرقت بقدر الله". فقال : "ونحن إنما نقطع بقدر الله" .

ثمرات الإيمان بالقدر

١. **الاعتماد على الله تعالى، عند فعل الأسباب، بحيث لا يعتمد على السبب نفسه؛ لأن كل شيء بقدر الله تعالى.**

٢. **أن لا يعجب المرء بنفسه عند حصول مراده، لأن حصوله نعمة من الله تعالى، بما قدره من أسباب الخير، والنجاح، وإعجابه بنفسه ينسيه شكر هذه النعمة .**

٣. **الإيمان بالقدر يغرس القناعة في نفس المؤمن .**

٤. **الطمأنينة والرضى بما يجرى عليه من أقدار الله تعالى، فلا يقلق بفوات محبوب، أو حصول مكروه، لأن ذلك بقدر الله الذي له ملك السماوات والأرض .**

المحاضرة الثامنة

المبحث الخامس : نواقض الإيمان

معنى النواقض في اللغة : النقضُ في البناء والحبل والعهد، وغيره ضد الإبرام، أي هو : الحلُّ، والإزالة والإبطال . ومنه قوله تعالى : (وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ) [النحل:٩١]، وقوله تعالى : (الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ الْمِيثَاقَ) [الرعد:٢٠]، وقول النبي ﷺ لعائشة ~ : ((لولا أن قومك حديث عهد بكفر لنقضت الكعبة..)) .

وفي الاصطلاح : عُرّفت بأنها : " مبطلات الإسلام ؛ وسُميت نواقض لأن الإنسان إذا فعل واحداً منها انتقض إسلامه ودينه، وانتقل من كونه مسلماً إلى كونه كافراً " . وعُرّفت - أيضا - بأنها " اعتقادات، أو أقوال، أو أفعال تزيل الإيمان وتقطعه".

قال الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله : " فنواقض الإسلام، وهي الموجبة للردة، تسمى نواقض ؛ والناقض يكون قولاً، ويكون عملاً، ويكون اعتقاداً، ويكون شكًا، فقد يرتدّ الإنسان بقول يقوله، أو بعملٍ يعمله، أو باعتقاد يعتقده، أو بشك يطرأ عليه، وهذه الأمور الأربعة كلها يأتي منها الناقض الذي يقدح في العقيدة ويبطلها " .

وتسمى هذه النواقض كذلك : أسباب الردّة، أو أنواع الردة . ومعرفتها مهمة جداً للمسلم من أجل أن يتجنبها ويحذر منها .

فهذه النواقض المقصود بها ما يخرج من الملة وينقل عن الإسلام، فيدخل فيها :

١- الشرك الأكبر : وهو صرف شيء من أنواع العبادة لغير الله، كدعاء غير الله، والتقرب بالذبائح والنذور لغير الله من القبور والشياطين والجن، وكرجاء غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله من قضاء الحاجات وتفريج الكربات .

وهذا الشرك مخرج من الملة، وصاحبه مخلّد في النار إذا مات ولم يتب منه، وهذا النوع من الشرك محبط لجميع الأعمال .قال تعالى : (إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا) [النساء:١١٦].

٢- الكفر الأكبر : وهو مخرج من الملة، وصاحبه مخلّد في النار إذا مات عليه. قال تعالى : (وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ)[البقرة:٣٩] .

وهو خمسة أنواع : كفر التكذيب، وكفر الإباء والاستكبار، وكفر الشك، وكفر الإعراض، وكفر النفاق.

٣- النفاق الأكبر : وهو النفاق الاعتقادي بأن يظهر صاحبه الإسلام، ويبطن الكفر وهو مخرج من الملة، وصاحبه في الدرك الأسفل من النار ؛ قال تعالى : (إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا)[النساء:١٤٥] .

وهذا النفاق ستة أنوع :

١.تكذيب الرسول ﷺ .٢.تكذيب بعض ما جاء به الرسل ﷺ .٣.بغض الرسول ﷺ.٤.بغض بعض ما جاء به الرسول ﷺ .

٥.المسرّة بانخفاض دين الرسول ﷺ .٦.الكراهية لانتصار دين الرسول ﷺ.

فليس المقصود بالنواقض ما يدخل في الشرك الأصغر كيسير الرياء، أو الكفر الأصغر كالحلف بغير الله، أو النفاق الأصغر كمن عادته الكذب في الحديث أو خيانة الأمانة، أو الغدر، التي لا تُخرج من الملة ولا تنقل عن الإسلام، بل تُنقص الإيمان وتوجب العقوبة إلا أن يتوب صاحبها غير أنّه لا يخلّد في النار، كما تُحبط العمل الذي تقترن به ولا تحبط جميع الأعمال .

ونواقض الإيمان تنقسم إلى : أوّلًا :نواقض اعتقادية. ثانياً :نواقض قولية . ثالثاً: نواقض عملية .

نواقض الإيمان الإعتقادية:[1]

١- الشرك بالله تعالى (من الناحية العقدية) أي : الشرك الاعتقادي :

باعتقاد أن ما سوى الله يستحق أن يُدعى أو يذبح له . باعتقاد أن ما سوى الله له تصرف معيّن في الكون .

باعتقاد أن أحداً سوى الله له اطلاع على الغيب، كالكهنة وغيرهم .

قال تعالى : (وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ)[الزمر:٦٥] .

٢- الجحود والتكذيب بشيء من الفرائض والواجبات :

قال الإمام ابن بطة رحمه الله : " كل من ترك شيئاً من الفرائض التي فرضها الله في كتابه أو أكدها رسول الله ﷺ في سننه، على سبيل الجحود والتكذيب بها، فهو كافر بيّن الكفر " .

٣- استحلال أمر معلوم من الدين بالضرورة تحريمه :

قال الإمام ابن قدامة رحمه الله : "من اعتقد حلَّ شيء أُجمع على تحريمه، وظهر حكمه بين المسلمين، وزالت الشبهة فيه للنصوص الواردة فيه كلحم الخنزير، والزنا، وأشباه هذا مما لا خلاف فيه، كفر « .

٤- الشك في حكم من أحكام الله , كتكفير المشركين وإبطال مذهبهم، أو في خبر من أخباره ﷺ .

وكمن يشك في صدق النبي ﷺ وفي بعض أخباره الثابتة عنه، أو في حكم شرعي ثابت، كالحكم ببطلان أديان الكفار قاطبة، أهل الكتاب وغيرهم .

قال القاضي عياض رحمه الله : "من أضاف إلى نبينا الكذب فيما بلّغه وأخبر به، أو شكّ في صدقه... فهو كافر بإجماع " إلى أن قال : "ونكفّر من دان بغير ملّة المسلمين من الملل، أو وقف فيهم، أو شكّ، أو صحّح مذهبهم، وإن أظهر مع ذلك الإسلام واعتقده، واعتقد إبطال كل مذهب سواه، فهو كافر بإظهار ما أظهره من خلاف ذلك" .

٥- اعتقاد أن بعض الناس لا يجب عليه اتباع النبي ﷺ، وأنه يسعه الخروج عن شريعته :

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : "من فضل أحدًا من المشايخ على النبي ﷺ، أو اعتقد أن أحداً يستغني عن طاعة رسول الله ﷺ، استتيب ؛ فإن تاب وإلا ضُربت عنقُه ".

٦-الإعراض عن دين الله لا يتعلمه ولا يعمل به:

فالإيمان لما كان خضوعاً واستجابةً وقبولاً لدين الله، عُدّ الإعراض الكلي عن هذه الأمور ناقضاً للإيمان ومفسداً له . وهذا الإعراض عن دين الله لا يتعلمه ولا يعمل به هو تَوَلٍ عن طاعة الرسول ﷺ، وامتناع عن اتباعه، وصدودٌ عن قبول الشريعة بالكلية .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : "قد تبيّن أن الدين لابدّ فيه من قولٍ وعملٍ، وأنه يمتنع أن يكون الرجل مؤمناً بالله ورسوله بقلبه، أو بقلبه ولسانه، ولم يؤد واجباً ظاهراً، ولا صلاة، ولا زكاة، ولا صياماً، ولا غير ذلك من الواجبات« . وقال ابن القيم رحمه الله : " كفر الإعراض : أن يُعرض بسمعه وقلبه عن الرسول ﷺ لا يصدّقه ولا يكذّبه، ولا يواليه ولا يعاديه، ولا يصغي إلى ما جاء به ألبتة" .

٧- الإباء والاستكبار :

وهو كفر " من عرف صدق الرسول ﷺ، وأنه جاء بالحق من عند الله، ولم ينقد له إباءً واستكباراً، وهو الغالب على كفر أعداء الرسول ﷺ" .

فهذا فيه مناقضة لعمل القلب المؤمن الذي هو الانقياد والاستسلام، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : "كلام الله خبرٌ وأمرٌ، فالخبر يستوجب تصديق المخبر، والأمر يستوجب الانقياد له والاستسلام، وهو عمل في القلب جماعه الخضوع والانقياد للأمر ".

نواقض الإيمان القولية

١. القول بِقدم العالم : ومعناه أن هذا الكون أزلي لم يسبق بعدم، أي أنه لم يزل موجوداً مع الله، ولم يتأخر عنه، وخلاصته أن العالم ليس مخلوقا ،وأن الله تعالى ليس خالقاً له .

٢. السبّ، ومنه :- سبّ الله تعالى . - وسب النبيّ ﷺ . - وسب أحد من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : " من اعتقد الوحدانية في الألوهية لله عز وجل ، والرسالة لعبده ورسوله، ثم لم يُتبع هذا الاعتقاد موجبه من الإجلال والإكرام، الذي هو حال في القلب يظهر أثره على الجوارح، بل قارنه الاستخفاف والتسفيه والازدراء بالقول، أو بالفعل، كان وجود ذلك الاعتقاد كعدمه، وكان ذلك موجباً لفساد ذلك الاعتقاد ومزيلاً لما فيه من المنفعة والصلاح".

٣. الاستهزاء، ويندرج تحته : - الاستهزاء بالله تعالى . - الاستهزاء بالقرآن العظيم .

قال تعالى : (وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ * لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ) [التوبة:٦٥-٦٦] .

والاستهزاء على نوعيْن :

- الاستهزاء الصريح : ويكون بالألفاظ الصريحة كوصف الدين بالأخرق، وكتسمية أهل الدين بأهل الديك (بالكاف) ... إلخ

- الاستهزاء غير الصريح : ويشمل غمز العين، وإخراج اللسان، ومدّ الشفة عند تلاوة القرآن أو عند الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

٤. إنكار معلوم من الدين بالضرورة، مثل: إنكار الكتب المنزلة على الأنبياء، وإنكار الملائكة، وإنكار الجّن، وإنكار البعث، وإنكار الوعد والوعيد.

٥. ادّعاء النبوة .

٦. ادعاء علم الغيب كالتنجيم والكهانة والعرافة .

كمن يجعل تعلم علم النجوم "سبباً يدّعي به علم الغيب، فيستدلّ بحركاتها وتنقلاتها وتغيراتها على أنه سيكون كذا وكذا؛ لأن النجم الفلاني صار كذا وكذا، مثل أن يقول : هذا الإنسان ستكون حياته شقاءً ؛ لأنه وُلد في النجم الفلاني، وهذا حياته ستكون سعيدة؛ لأنه وُلد في النجم الفلاني. فهذا اتخذ تعلم النجوم وسيلة لادعاء علم الغيب، ودعوى علم الغيب كفر مخرج عن الملة، قال تعالى : (قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ) [النمل:٦٥]، وهذا من أقوى أنواع الحصر؛ لأنه بالنفي والإثبات، فإذا ادعى أحد علم الغيب فقد كذّب بالقرآن " .

فمن سأل المنجم أو الكاهن وصدّقه كفر بالله تعالى فقد قال رسول الله ﷺ: ((من أتى عرّافاً أو كاهناً فصدّقه بما يقول فقد كفر بما أُنزل على محمد)) وإن لم يصدقه لم تقبل له صلاة أربعين يوماً، قال رسول الله r: ((من أتى عرّافاً فسأله عن شيء لم تُقبل له صلاة أربعين ليلة)).

ثالثاً: نواقض الإيمان العملية

١.الشرك في عبادة الله عز وجل -أي الشرك بالعمل - :

بأن يتقدم لغير الله بأنواع العبادات التي هي حق الله وحده، كالركوع والسجود والنذر والذبح .

٢. السحر : هو في اللغة ما خفي ولطُف سببه.

وفي الشرع هو قسمان :

القسم الأول : عُقد ورقى، أو قراءات وطلاسم يتوصل بها الساحر إلى استخدام الشياطين فيما يريد به ضرر المسحور.

القسم الثاني : أدوية وعقاقير تؤثر على بدن المسحور وعقله وإرادته وميله، فتجده ينصرف ويميل عن أشياء وأشخاص إلى أشياء وأشخاص أخرى.

والأول: شرك يكفر فاعله؛ لأن فيه استعانة بالشياطين بطاعتهم والتقرب إليهم بفعل الكفر، وذلك لتسليطهم على المسحور.

والثاني: عدوان وفسق لا يكفر فاعله، لكنه عاص لله متعدٍّ لحدوده، معتدٍ على عباده .

٣.الاستهانة بالمصحف، وتلويثه بالنجاسات أو دوسه بالأقدام .

المبحث السادس : ضوابط التكفير

ضوابط التكفير تعني توفر شروط أو انتفاء موانع، وحديثنا في هنا سيكون عن موانع التكفير، وإذا عُرفت تبينت الشروط، لأنها أضدادها، وهذه الموانع هي :

١ . الجهل . ٢ . الخطأ . ٣ . الإكراه . ٤ . التأويل . ٥ . التقليد .

أولا : الجهـل : الجهل يأتي بعدة معان منها : خلو النفس من العلم وهو المشهور.

ومقصود العلماء بالجهل الذي يعذر صاحبه أو لا يعذر، أن يقول قولاً أو يفعل فعلاً بخلاف ما حقه أن يفعل، أو يعتقد اعتقاداً بخلاف ما هو عليه من الحق.

ومن أشهر أدلة العذر بالجهل : حديث الرجل من بني إسرائيل الذي أمر أهله بإحراقه، فقد روى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : ((كان رجل يسرف على نفسه، فلما حضره الموت قال لبنيه : إذا أنا مت فأحرقوني، ثم اطحنوني، ثم ذرُّوني

في الريح، فو الله لئن قدر الله علي ليعذبني عذاباً ما عذبه أحداً، فلما مات فعل به ذلك، فأمر الله الأرض فقال : اجمعي ما فيك منه، ففعلت فإذا هو قائم، فقال : ما حملك على ما صنعت؟ قال : يا رب خشيتك، فغفر له)) .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية معلقاً على هذا الحديث : فهذا رجل شك في قدرة الله وفي إعادته إذا ذُرِّيَ بل اعتقد أنه لا يعاد، وهذا كفر باتفاق المسلمين، لكنه كان جاهلا لا يعلم ذلك، وكان مؤمنا يخاف الله أن يعاقبه فغفر له .

ونخلص من الحديث بأمرين مهمين :

الأول : أن عمل هذا الرجل هو كفر؛ لأن فيه إنكاراً لقدرة الله تعالى على إعادته بعدما يحرق، ولكنه عذر بسبب جهله الذي قاده إلى هذا الظن الفاسد.

الثاني : أن هذا الرجل معه أصل الإيمان، وهذا واضح في الحديث .

والحق الذي دلت عليه نصوص الكتاب والسنة أنه يعذر بجهله حتى تبلغه الحجة الرسالية، فإن الله تعالى يقول : (وَأُوْحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ) [الأنعام:١٩] فبين تعالى أن النذارة لا تتم إلا بالبلاغ، قال الشيخ ابن تيمية ¬ : "إن الكتاب والسنة قد دلا على أن الله لا يعذب أحدا إلا بعد إبلاغ الرسالة، فمن لم تبلغه جملة لم يعذبه رأسا، ومن بلغته جملة دون بعض التفصيل لم يعذبه إلا على إنكار ما قامت عليه الحجة الرسالية « .

ثانياً : الخطأ : المراد بالخطأ لغة و اصطلاحاً :

في اللغة : ضد الصواب.

في الاصطلاح : هو أن يقصد العبد بفعله شيئاً فيصادف فعله غير ما قصده، مثل أن يقصد قتل كافر فصادف قتله مسلماً .

ومن أدلة العذر بالخطأ قوله سبحانه : (وربَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا) [البقرة:٢٨٦] وثبت في الحديث الصحيح أن الله سبحانه استجاب لهذا الدعاء، فقال : فقد فعلت.

ومن الأحاديث المشهورة في العذر بالخطأ قوله ﷺ: ((إن الله وضع عن أمتي الخطأ والنسيان، وما استكرهوا عليه)) .

وعن عبد الله بن مسعود tأن رسول الله ﷺ قال : ((للهُ أشد فرحا بتوبة عبده المؤمن، من رجل في أرض دَويّة مهلكة، معه راحلته، عليها طعامه وشرابه، فنام فاستيقظ وقد ذهبت، فطلبها حتى أدركه العطش، ثم قال : أرجع إلى مكاني الذي كنت فيه، فأنام حتى أموت، فوضع رأسه على ساعده ليموت، فاستيقظ وعنده راحلته وعليها زاده وطعامه وشرابه، فاللهُ أشد فرحا بتوبة العبد المؤمن من هذا براحلته وزاده)) .

وجاء في رواية أخرى : ((فسعى شرفا فلم ير شيئا ثم سعى شرفا ثانيا فلم ير شيئا ثم سعى شرفا ثالثا فلم ير شيئا فأقبل حتى أتى مكانه الذي قال فيه)) ، وفي حديث النعمان بن بشير tزيادة : ((ثم قال من شدة الفرح اللهم أنت عبدي وأنا ربك أخطأ من شدة الفرح)).

ثالثا : الإكراه :

في اللغة : يدور المعنى اللغوي للإكراه حول : المشقة والقهر والإجبار، ومنافاة الرضى والمحبة والاختيار .

وفي الاصطلاح : عرفه ابن حجر ¬ بقوله :"هو إلزام الغير بما لا يريده" .

متى يكون الإكراه عذراً (شروط الإكراه)؟

ليس كل من ادعى الإكراه يقبل منه، بل لابد من شروط يجب توافرها ليكون الإكراه معتبراً ومؤثراً فيما يقدم عليه المكلف من أقوال أو أفعال أو تروك، وهذه الشروط هي :

أ- أن يكون المكره قادراً على تحقيق ما أوعد به، لأن الإكراه لا يتحقق إلا بالقدرة، فإن لم يكن قادراً لم يكن للإكراه معنى ولا اعتبار .

ب- أن يكون المكره عاجزاً عن الدفع عن نفسه بالهرب أو الاستغاثة أو المقاومة أو نحو ذلك .

ج- أن يغلب على ظنه وقوع الوعيد، إن لم يفعل ما طلب منه .

د- أن يكون مما يستضر به المكره ضرراً كثيراً كالقتل والضرب الشديد، والقيد والحبس الطويلين، فأما الشتم والسب فليس بإكراه رواية واحدة، وكذلك أخذ المال اليسير .

ومن أدلة العذر بالإكراه قوله سبحانه : {مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِن بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ } [النحل:١٠٦] . والمشهور في سبب نزولها ما رواه أبو عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر عن أبيه قال : "أخذ المشركون عمار بن ياسر فلم يتركوه حتى سب النبي ﷺوذكر آلهتهم بخير، ثم تركوه، فلما أتى رسول الله ﷺ، قال : ((ما وراءك؟)) قال : شر يا رسول الله، ما تركت حتى نلت منك، وذكرت آلهتهم بخير قال : ((كيف تجد قلبك)) قال : مطمئناً بالإيمان، قال : ((إن عادوا فعد))، قال الحافظ ابن حجر رحمه الله : "واتفقوا على أنه -أي عمار- نزل فيه { إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ } " .

رابعاً : التأويل :

التأويل لغة : مادة (أول) في كل استعمالاتها اللغوية تفيد معنى الرجوع، والعود.

والمقصود بالتأول : التلبس والوقوع في الكفر من غير قصد لذلك، وسببه القصور في فهم الأدلة الشرعية، دون تعمد للمخالفة، بل قد يعتقد أنه على حق.

ولا يعني أن كل من ادعى التأويل فهو معذور بإطلاق، بل يشترط في ذلك التأويل أن لا يكون في أصل الدين الذي هو عبادة الله وحده لا شريك له، وقبول شريعته؛ لأن هذا الأصل (الشهادتين) لا يمكن تحقيقه مع حصول الشبهة فيه، ولهذا أجمع العلماء على كفر الباطنية مثلاً وأنهم لا يعذرون بالتأويل؛ لأن حقيقة مذهبهم الكفر بالله تعالى، وعدم عبادة الله وحده، وإسقاط شرائع الإسلام. وقد يقع الواحد من المسلمين في الكفر لتأول خاطئ أو فهم مغلوط للنصوص، فيقع في الخطأ، وهو لا يقصده، وهذا في الحقيقة فرع عن العذر بالخطأ، لكنه لفرط أهميته وتميز بعض صوره عن الخطأ استحق أن يفرد بالذكر، وعليه يصح الاستدلال عليه بأدلة العذر بالخطأ.

خامسا : التقليد :

أصل التقليد في اللغة : وضع الشيء في العنق محيطاً به، وذلك الشيء يسمى قلادة.

أما في اصطلاح : فهو "قبول قول الغير بلا حجة ".

هل يكون التقليد عذراً؟

الذي يظهر من كلام الأئمة أن العذر بالتقليد من جنس العذر بالتأول والجهل، باعتبار المقلد جاهلاً لا يفهم الدليل أو الحجة، فإذا عذر من وقع في الكفر متأولاً رغم علمه واجتهاده، فعذر من يقلده من العوام الجهال من باب أولى .

المحاضرة التاسعة

تعريف العلمانية :

العَلمانية بفتح العين نسبة للعالم، حيث تقوم العلمانية على الاعتراف بوجود العالم المادي المحسوس الذي نعيش فيه فقط، وعدم الإيمان بعالم آخر وراء هذا العالم، هو عالم الغيب، ولا تُنطق الكلمة بكسر العين، كما يروج بعض العلمانيين، حتى يوهموا الناس أنها نسبة للعِلم، وهو غير صحيح .

وقد استخدم هذا المصطلح في أوروبا بداية بمعنى نقل ممتلكات الكنيسة إلى سلطات غير دينية، إلا أن معنى الكلمة اتسع بعد ذلك لتعرف العلمانية بأنها: " الإيمان بإمكانية إصلاح حال الإنسان من خلال الطرق المادية، دون التصدي لقضية الإيمان بالقبول أو الرفض".

غير أن هذا المفهوم للعلمانية تقلص كثيرا عند مفكرين آخرين ليصبح معناه "فصل الدين عن الدولة" وهو من أكثر التعاريف شيوعاً سواء في الغرب أو في الشرق، وهو يعني "فصل المؤسسات الدينية عن المؤسسات السياسية" وبذلك تحصر العلمانية في المجال السياسي وربما الاقتصادي فحسب .

ثم إن هذا المفهوم تطور فيما بعد، وأصبحت العلمانية تعني البعد عن الدين واعتباره علاقة روحية محصورة في المسجد أو الكنيسة، ولا علاقة له بشؤون الحياة العامة والخاصة.

ونستطيع أن نخرج من تعريف العلمانية، وبيان أسباب نشأتها في أوروبا بأمرين غاية في الأهمية :

الأول : يتعلق بالتعريف، وهو أن العلمانية تشكل تناقضا صريحا للدين، وتمثل منازعة حقيقية للسلطة الإلهية، فبينما تعطي الأديان السماوية السلطة خالصة لله سبحانه في تصريف الكون والإنسان، نجد في المقابل العلمانية تضع ذلك في يد الإنسان نفسه .

الأمر الثاني : هو أن الأسباب التي أدت إلى بروز العلمانية في المجتمع الغربي، لم يكن لها وجود ألبتة في الشرق الإسلامي، فالدين الإسلامي ليس كالنصرانية المحرفة، وعلماء الإسلام لم يكونوا إقطاعيين ظلمة كرجال الدين المسيحي، وموقف الإسلام من العلم ليس موقفا مصادما كموقف الكنيسة، وهو في الوقت ذاته دين ينكر الخرافة ويحاربها، ويعلي قيمة العقل على خلاف تعاليم الكنيسة .

التأسيس وأبرز الشخصيات :

انتشرت هذه الدعوة في أوروبا وعمت أقطار العالم بحكم النفوذ الغربي والتغلغل الشيوعي . وقد أدت ظروف كثيرة قبل الثورة الفرنسية سنة ١٧٨٩م وبعدها إلى انتشارها الواسع وتبلور منهجها وأفكارها وقد تطورت الأحداث وفق الترتيب التالي :

- تحول رجال الدين إلى طواغيت ومحترفين سياسيين ومستبدين تحت ستار الرهبانية والعشاء الرباني وبيع صكوك الغفران.
- وقوف الكنيسة ضد العلم وهيمنتها على الفكر وتشكيلها لمحاكم التفتيش واتهام العلماء بالهرطقة.
- ظهور مبدأ العقل والطبيعة : فقد أخذ العلمانيون يدعون إلى تحرر العقل وإضفاء صفات الإله على الطبيعة.

الثورة الفرنسية :نتيجة لهذا الصراع بين الكنيسة من جهة وبين الحركة الجديدة من جهة أخرى، كانت ولادة الحكومة الفرنسية سنة 1789م وهي أول حكومة لا دينية تحكم باسم الشعب .وهناك من يرى أن الماسون استغلوا أخطاء الكنيسة والحكومة الفرنسية وركبوا موجة الثورة لتحقيق ما يمكن تحقيقه من أهدافهم .

ومن أهم أعلام هذه الحركة في أوروبا : جان جاك روسو سنة1778 م : (له كتاب) العقد الاجتماعي (الذي يعد إنجيل الثورة، ,مونتسكيو له كتاب(روح القوانين) ، وسبينوزا الذي يعتبر رائد العلمانية باعتبارها منهجاً للحياة والسلوك وله كتاب (رسالة

في اللاهوت والسياسة) ، وفولتير صاحب (القانون الطبيعي) وكانط وله كتاب (الدين في حدود العقل وحده)سنة1804 م ، ووليم جودين1793 م وله كتاب (العدالة السياسية). هذا بالإضافة إلى نيتشة :ودور كايم وفرويد و كارل ماركس وجان بول سارتر.

الاتجاهات العلمانية في العالم العربي والإسلامي، نذكر نماذج منها:

- في مصر: دخلت العلمانية مصر مع حملة نابليون بونابرت .وقد أشار إليها الجبرتي في تاريخه – الجزء المخصص للحملة الفرنسية على مصر وأحداثها – بعبارات تدور حول معنى العلمانية وإن لم تذكر اللفظة صراحة .أما أول من استخدم هذا المصطلح العلمانية فهو نصراني يُدعى إلياس بقطر في معجم عربي فرنسي من تأليفه سنة 1827م .وأدخل الخديوي إسماعيل القانون الفرنسي سنة 1883م، وكان هذا الخديوي مفتوناً بالغرب، وكان أمله أن يجعل من مصر قطعة من أوروبا.
- الهند : حتى سنة 1791م كانت الأحكام وفق الشريعة الإسلامية ثم بدأ التدرج من هذا التاريخ لإلغاء الشريعة بتدبير الإنجليز وانتهت تماماً في أواسط القرن التاسع عشر.
- الجزائر : إلغاء الشريعة الإسلامية عقب الاحتلال الفرنسي سنة 1830م.
- تونس : أدخل القانون الفرنسي فيها سنة 1906م.
- المغرب : أدخل القانون الفرنسي فيها سنة 1913م.
- تركيا : لبست ثوب العلمانية عقب إلغاء الخلافة واستقرار الأمور تحت سيطرة مصطفى كمال أتاتورك، وإن كانت قد وجدت هناك إرهاصات ومقدمات سابقة.
- العراق والشام : ألغيت الشريعة أيام إلغاء الخلافة العثمانية وتم تثبيت أقدام الإنجليز والفرنسيين فيهما.
- معظم أفريقيا : فيها حكومات نصرانية امتلكت السلطة بعد رحيل الاستعمار.
- إندونيسيا ومعظم بلاد جنوب شرقي آسيا : دول علمانية.
- انتشار الأحزاب العلمانية والنزعات القومية : حزب البعث، الحزب القومي السوري، النزعة الفرعونية، النزعة الطورانية، القومية العربية.
- من أشهر دعاة العلمانية في العالم العربي والإسلامي: أحمد لطفي السيد، إسماعيل مظهر، قاسم أمين، طه حسين، عبدالعزيز فهمي، ميشيل عفلق، أنطون سعادة، ومحمد سعيد عشماوي، وغيرهم .

الأفكار والمعتقدات الأصلية للعلمانيين في الغرب :

- بعض العلمانيين ينكرون وجود الله أصلاً.
- وبعضهم يؤمنون بوجود الله لكنهم يعتقدون بعدم وجود أية علاقة بين الله وبين حياة الإنسان.
- الحياة تقوم على أساس العلم المطلق وتحت سلطان العقل والتجريب.
- إقامة حاجز سميك بين عالمي الروح والمادة، والقيم الروحية لديهم قيم سلبية.

- فصل الدين عن السياسة وإقامة الحياة على أساس مادي.
- تطبيق مبدأ النفعية على كل شيء في الحياة.
- اعتماد مبدأ الميكافيلية في فلسفة الحكم والسياسة والأخلاق.
- نشر الإباحية والفوضى الأخلاقية وتهديم كيان الأسرة باعتبارها النواة الأولى في البنية الاجتماعية

معتقدات العلمانيين في العالم الإسلامي والعربي :

- الطعن في حقيقة الإسلام والقرآن والنبوة .
- الزعم بأن الإسلام استنفد أغراضه وهو عبارة عن طقوس وشعائر روحية .
- الزعم بأن الفقه الإسلامي مأخوذ عن القانون الروماني .
- الزعم بأن الإسلام لا يتلاءم مع الحضارة ويدعو إلى التخلف .
- الدعوة إلى تحرير المرأة وفق الأسلوب الغربي .
- تشويه الحضارة الإسلامية وتضخيم حجم الحركات الهدامة في التاريخ الإسلامي والزعم بأنها حركات إصلاح .
- إحياء الحضارات القديمة .
- اقتباس الأنظمة والمناهج اللادينية عن الغرب ومحاكاته فيها .
- تربية الأجيال تربية لا دينية .

وإذا كان هناك عذر ما لوجود العلمانية في الغرب فليس هناك أي عذر لوجودها في بلاد المسلمين لأن النصراني إذا حكمه قانون مدني وضعي لا ينزعج كثيراً ولا قليلاً لأنه لا يعطل قانوناً فرضه عليه دينه وليس في دينه ما يعتبر منهجا للحياة . أما مع المسلم فالأمر مختلف حيث يوجب عليه إيمانه الاحتكام إلى شرع الله.

موقف العلمانيين من علاقة الدين بالدولة في الإسلام :

تعد هذه المسألة مركز اهتمام العلمانيين، حيث إن هدفهم الأساسي هو فصل الدين عن حياة الناس اتباعا للنصارى في الغرب الذين أبعدوا نصرانيتهم عن حياتهم، يريدون أن يرتعوا في مرتع من الشهوات البهيمية، لا يحد من ذلك خلق ولا دين.

ويمكن تحديد الأخطاء التي وقع فيها العلمانيون في رؤيتهم لعلاقة الإسلام بالدولة فيما يلي:

١- **الخلط بين المرجعية ونظام الحكم:** لقد خلط العلمانيون سواء عن سوء فهم أو عن سوء قصد بين المرجعية الشرعية للنظم السياسية و الاقتصادية و الاجتماعية، و بين تلك النظم بتفصيلاتها التي تركها الإسلام لكل عصر بما يناسبه ،فرددوا كلمة حق ،وهي أن تفاصيل النظام متروكة للناس و أرادوا بها باطلًا و هو أن الإسلام ليس فيه نظام حكم . والحقيقة أن المرجعية الشرعية لكل النظم هي المبادئ الثابتة التي قررها الشرع الحكيم، وأن النظم هي التفصيل والاجتهاد في فقه الواقع مرحليًا وفق تلك المبادئ و في إطارها.

يقول الدكتور محمد عمارة : "لقد ضمن النسق الإسلامي – بالمرجعية والمبادئ الثابتة- خلود نظام الحكم الإسلامي ،وحفظ التواصل الحضاري لطبيعة الدولة الإسلامية في كل زمان ومكان، وفي الوقت نفسه ضمن هذا النسق – الاجتهاد في النظم والتطور

في الفقه – مواكبة المستجدات، و تلبية المصالح الشرعية المعتبرة ومواكبة الأعراف عبر الزمان والمكان، وهذا هو سر خلود الشريعة الإسلامية باعتبارها الشريعة الخاتمة." .

٢- سوء الفهم للمقصود بالحكومة الإسلامية :

يرى العلمانيون أن تعبير "الحكومة الإسلامية" تطبيق للمعنى الكريه للقيادة الدينية كما عرفها الغرب في عصور الظلام باعتبارها مفوضة بالحق الإلهي المقدس، وأن التسليم بهذا المفهوم للحكومة الإسلامية يضفي عل الأشخاص صفة القداسة، ويمنحهم العصمة، مما يجعل كل من يعارض أو يخالف متهما بالكفر والفسوق .

والحقيقة أن الإسلام فرض على أولي الأمر الحكم بين الناس بالعدل، و أداء الأمانات إلى أهلها، ولقاء ذلك فرض على الناس طاعة "أولي الأمر" كما أوجب على الأمة والدولة بسلطاتها كلها الاحتكام إلى المرجعية الإسلامية (الكتاب و السنة) في كل المنازعات، الأمر الذي يعني إسلامية المرجعية لسائر سلطات الدولة، وهذا هو جوهر مفهوم إسلامية الدولة، ومعني الحكومة الإسلامية في الإسلام . قال تعالى : (إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِالْعَدْلِ إِنَّ اللّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا (٥٨) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً (٥٩) .

٣. ادعاء أن الدولة الإسلامية التي تطبق الشريعة دولة دينية لا مدنية :وهذا خلط آخر بين مفهوم الدولة الدينية كما عرفتها أوروبا المسيحية على أيدي القساوسة والرهبان، وبين الدولة الإسلامية عندما تتخذ من كتاب الله وسنة رسوله ﷺمصدرا للنظم والقوانين الحاكمة لحركة الحياة .

والحقيقة أن مدنية الدولة لا ينتقص منها أن تكون مرجعيتها الدين، وخاصة عندما يكون هذا الدين هو الإسلام الذي يتناول بالتدبير والتأطير كل ميادين العمران .

٤. ادعاء أن الحكم بالشريعة مقصور فقط على الرسول ﷺ:

يزعم العلمانيون أن الحكومة التي أقامها النبي ﷺ بالمدينة كانت حكومة الله، وهي خاصة بالنبي ﷺ، مثلها في الاختصاص كمثل النبوة والرسالة تنتهي وتطوى صفحاتها بوفاة النبي ﷺ، وكما أنه لا امتداد للنبوة والرسالة بعد النبي، فكذلك حكومته لا امتداد لها بعده.

والحقيقة أن هذا الزعم ينم عن جهل بعقيدة الاستخلاف التي جعل الله تعالى الإنسان بموجبها مستخلفا في إقامة حكم الله وإقامة دين الله وإقامة حاكمية الله، وهو في إقامته لها يجتهد في إطار الوحي الإلهي والبيان النبوي لهذا الوحي، هكذا دائما وأبدا وفي كل مناحي الحياة . وعلى هذا فإن حاكمية الله في الشريعة إنما يحكم بها ويقضي بها ويسوس بها الناس أولائك المستخلفون لله في إقامة هذه الحاكمية . فالقول بأن إقامة هذه الحاكمية ينقضي بانقضاء حياة الرسول فساد في الفكر وجهل بالدين .

- لماذا يرفض الأسلام العلمانية؟

- لأنها تغفل طبيعة الإنسان البشرية باعتباره مكوناً من جسم وروح فتهتم بمطالب جسمه ولا تلقي اعتباراً لأشواق روحه .
- لأنها نبتت في البيئة الغربية وفقاً لظروفها التاريخية والاجتماعية والسياسية وتعتبر فكراً غريباً في بيئتنا الشرقية .
- لأنها تفصل الدين عن الدولة فتفتح المجال للفردية والطبقية والعنصرية والمذهبية والقومية والحزبية والطائفية .
- لأنها تفسح المجال لانتشار الإلحاد وعدم الانتماء والاغتراب والتفسخ والفساد والانحلال .

- لأنها تجعلنا نفكر بعقلية الغرب، فلا ندين العلاقات الحرة بين الجنسين وندوس على أخلاقيات المجتمع ونفتح الأبواب على مصراعيها للممارسات الدنيئة، وتبيح التعامل بالربا وتعلي من قدر الفن للفن، ويسعى كل إنسان لإسعاد نفسه ولو على حساب غيره .
- لأنها تنقل إلينا أمراض المجتمع الغربي من إنكار الحساب في اليوم الآخر ومن ثم تسعى لأن يعيش الإنسان حياة متقلبة منطلقة من قيد الوازع الديني، مهيجة للغرائز الدنيوية كالطمع والمنفعة وتنازع البقاء ويصبح صوت الضمير عدماً .

مع ظهور العلمانية يتم تكريس التعليم لدراسة ظواهر الحياة الخاضعة للتجريب والمشاهدة وتُهمل أمور الغيب من إيمان بالله والبعث والثواب والعقاب، وينشأ بذلك مجتمع غايته متاع الحياة وكل لهو رخيص .

الخلاصة:

- أن العلمانية دعوة إلى إقامة الحياة على أسس العلم الوضعي والعقل بعيداً عن الدين الذي يتم فصله عن الدولة وحياة المجتمع وحبسه في ضمير الفرد ولا يصرح بالتعبير عنه إلاَّ في أضيق الحدود. وعلى ذلك فإن المسلم لا يؤمن بالعلمانية بديلاً عن الدين ولا يقبل موقفها من تحكيم الشرعية الإسلامية، لأن المسلم يحرم ما حرم الله، ويلتزم أوامره في كل مناحي الحياة.
- وأن العَلمانية بفتح العين نسبة للعالم، حيث تقوم العلمانية على الاعتراف بوجود العالم المادي المحسوس الذي نعيش فيه فقط، وعدم الإيمان بعالم آخر وراء هذا العالم، هو عالم الغيب.
- وأن الأسباب التي أدت إلى بروز العلمانية في المجتمع الغربي، لم يكن لها وجود ألبتة في الشرق الإسلامي .
- وأن الأخطاء التي وقع فيها العلمانيون في رؤيتهم لعلاقة الإسلام بالدولة هي: الخلط بين المرجعية ونظام الحكم، وسوء الفهم للمقصود بالحكومة الإسلامي، وادعاء أن الدولة الإسلامية التي تطبق الشريعة دولة دينية لا مدنية، وادعاء أن الحكم بالشريعة مقصور فقط على الرسول ﷺ .

المبحث الثاني: عبدة الشيطان

مفهوم الشيطان:الشيطان يرمز إلى كل ما هو وثني وحيواني وغريزي عرفه الإنسان بدءاً من الصورة الوثنية للقوه التي تحكم العالم ومرورا بالوضاعة، والخسة، وانتهاء بالجنس الحيواني الذي لا يعرف ضوابط أو محاذير.
ولقد وضعت الكتب السماوية صورة للشيطان شكلا ومضمونا وأفعالا و أنه لا يأمر إلا بكل شر ولا يعد إلا بالفقر والفاقة وهو عدو الأنبياء والمرسلين والدعاة إلى الله والصالحين بل عدو كل إنسان سوي مستقيم وهو الذي يعد أتباعه في الغواية ويردهم بعد إذ آمنوا إلى الكفر قال تعالى: (الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلاً وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ)[البقرة:٢٦٨] .
الشيطان في عقائد الشعوب والأديان :إن جميع الدراسات التي وصلتنا تدل بشكل واضح على أن الشعوب القديمة عرفت الشيطان من خلال ما يرمز إليه من شر وباطل وفساد وإفساد، وجعلت الشعوب القديمة آلهة تمثل الخير، كما جعلت للشيطان صورا قد تكون مجسده لصنم أو وثن تمثل الشر، ولعل فطرة الإنسان التي منحه الله إياها جعلته يصور ما يرمز إلى الخير جميلا محببا وما يرمز إلى الشر قبيحا شرسا تنفر منه النفوس وتخافه العيون والأحاسيس.

المانوية والزرادشتية

: تعتبرالمانويه والزرادشتيه من أوائل العقائد اللتين تؤمنان بوجود إلهين وأن عليهم عبادة إلهي النور والظلام ويعتقدون بوجود إله الخير الذي لا نهاية لرحمته ويعتقدون بالشيطان الذي هو عامل الشر المحض فيرون عبادته واجبة اتقاءً لشره وخوفا من نقمته لا احتراما له .

اليهودية

: حتى الأديان السماوية لم تسلم من الانحراف في مفهوم الشيطان فبعض الفرق اليهودية ترى في الشيطان قوة تضاهي قوة الله، وما تمرده على الله إلا دليل على أنه ذو قوة هائلة يستطيع بها تحدي الله .

النصرانية :

وليست النصرانيه من ذلك ببعيدة فهي تحمل معتقدا مشوشا حول الشيطان فترى أن بعض الملائكة حوّلوا أنفسهم إلى شياطين ومن أسمائه عندهم ،" عزازيل" ،"رئيس هذا العالم"و"التنين" و" الحية القديمة" .
كذلك لا بد لنا أن نبيّن أن الحضارات القديمة كالمصرية والسومرية والبابلية عرفت الشيطان وربطته بالشر، وكان موقفها منه موقف المعادي منه. وهذا بطبيعة الحال يدل على فطرة البشرية منذ نشأتها على التمييز بين الخير والشر .

اليزيدية :

ومن النحل التي أخذ الشيطان مساحة واسعة في عقيدتهم نحلة اليزيدية التي تعتبر من أقدم النحل التي عبدت الشيطان لأنها حسب المصادر مستقاة من الزرادشتية، ومن ثم دخلت فيها بعض المؤثرات اليهودية والمسيحية والإسلام . وقد أفرد عدد من الباحثين كتبا خاصه لدراسة اليزيدية وكان من أهمها وأدقها وموضوعية ما كتبه الدكتور "خلف الجراد" في كتابه "اليزيدية واليزيديون" وهذه النحلة تتواجد حاليا في معظمها في شمال العراق، وكانت ولا زالت غارقة في غياهب الجهل حيث يعتبر مبدأ تحريم تعلم القراءة والكتابة من أهم المبادئ التي ترتكز عليها فإن أعضاءها يتمسكون بالمبادئ الشيطانية من خلال جهلهم بالقيم الصحيحة وتسلط زعماء هذه الجماعة عليهم يجبون أموالهم ويسلبون نساءهم .
وحتى نفرق بين اليزيدية وعبدة الشيطان المعاصرة التي أسسها "اليستر كراولي"و "انطوان ليفي"، فإن لليزيدية صلاة وأدعية وتقاليد عقائدية يتمسكون بها، وعندهم ما يسمى صلاة الفجر وصلاة الإشراق وصلاة الأموات، وعندهم كذلك صيام . وهذه الشعائر والمعتقدات تتناقض كليا مع تعاليم حركة عبادة الشيطان المعاصرة التي نحن بصدد الحديث عنها .

عبدة الشيطان التأسيس والأفكار والمعتقدات

المؤسسون :

تأسَّست حركة عبدة الشيطان في العصر الحديث على يد اثنين وهما :

١- ألستر كراولي (1875-1947)م :

عاش في الفترة ما بين (١٨٧٥ و ١٩٤٧) ، ويعد الأب الروحي لعبدة الشيطان المعاصرين، نشأ في بريطانيا، وكان على علاقة وثيقة بالماسونية، ثم استقل عنهم وتفرغ لعبادة الشيطان، والانغماس في أعمال السحر والشذوذ الجنسي، وكتابة الكتب، وإلقاء المحاضرات عن عبادة الشيطان.

وقد وضع كراولي حقوقا مفترضة للشيطانيين وهي عدة نظريات مارسها من بعده أتباعه وهي :

أولاً : أن يعيش بالطريقه التي يريدها و أن يلهو كما يريد، و أن يرتاح كما يريد و أن يأكل ما يريد .

ثانياً: أن يموت في الوقت الذي يريد (وقد انتحر العديد من الشبان في العالم تماشيا مع دعوة كراولي) .

ثالثاً: أن يشرب ما يريد ولذلك يأكلون الغائط ويشربون الدم والبول .

رابعاً: أن يسكن أينما يريد، ولهذا غالبا ما يسكنون الخرائب والأماكن المهجورة .

خامساً: أن يلبس كما يريد، فهم يرتدون ألبسة أبعد ما تكون عن الحشمة والتقاليد .

سادساً: أن يتحرك كما يريد ويفكر كما يريد ويتكلم بما يريد .

سابعاً: للإنسان الحق أن يحب كما يريد ويمارس الجنس كما يريد .

٢- انطوان شيلدز ايفي(1966)م :

يهودي ساحر، يعد المؤسس الفعلي لعبدة الشيطان المعاصرين؛ حيث أعلن في عام (١٩٦٦م) عن تأسيس كنيسة الشيطان في سان فرانسيسكو بالولايات المتحدة بموافقة ودعم رسمي من الحكومة الأمريكية، وكتب كتاب (إنجيل الشيطان) أو (الإنجيل الأسود) الذي فيه أفكار ومعتقدات هذه الجماعة، وهو أول من أدخل موسيقى (البلاك ميتال) في طقوس عبدة الشيطان .
ومنذ ذلك التاريخ بدأت حركة عبدة الشيطان تَنتشِر انتشارًا كبيرًا في أمريكا وأوروبا خاصة في بريطانيا وألمانيا وفرنسا، وكذلك انتقلت إلى بقاع كثيرة في آسيا وإفريقيا وأستراليا .ولكنها بقيت عاجزه عن اختراق البلدان العربية والإسلامية بسبب تمسك المسلمين القوي بأسس الإسلام الصحيح. وقد ألّف ليفي العديد من الكتب التي تناولت هذه العبادة ودعت اليها .يقول في أحد كتبه : "إنه بزوغ عهد جديد .. عهد يحتفل بقوة وسعادات الجسد ولا يحتقرها أو يكتمها إنه ميلاد معبد الشيطان" وفي عام (١٩٧٢م) : أطلق ليفي كتابه الثاني الذي سماه (إنجيل الشيطان) حيث شرح فيه فلسفه المبدأ الشيطاني التي تقوم عليها عبادة الشيطان حيث يقول فيه :"الشيطانيون لا يعتقدون بوجود آلهة أو شياطين ... بالنسبة للشخص الشيطاني كل إنسان هو سيد الكون .. وبالتالي لا يستطيع لوم كائن أعلى على نجاحه أو فشله" ... ومن المؤلفات الأخرى كتاب (الشيطانية) و(الطقوس الشيطانية) و(الساحر الشيطاني) و (مذكرة الشيطان) .

الطقوس والمعتقدات

ولهذه الجماعة طقوس و ممارسات يؤدونها في جميع الأدوار، منذ دخول أي عنصر في جماعتهم وحتى نهايته أو انغماسه معهم حتى النخاع .وهي على شكلين :

١- طقوس التعميد أو الدخول إلى الجماعة

٢- طقوس الممارسة أو ما يطلق عليها القداس الأسود

طقوس التعميد وتقام لإدخال أتباع جدد، حيث يتم تعميدهم وتوقيع صك الإذعان للشيطان. ويأتي من يريد الانضمام إليهم ،وتقدم له ضفدعة كبيرة، ثم يأتي الكاهن وهو عادة رجل له عينان سوداوان نافذتان ووجه باهت وفم ضامر ،رقيق الشفاه ويداه باردتان يمثل الشيطان إله الموت والبرودة، فتقبيل يده علامة على موافقته على الانضمام للجماعة ثم يجلس الحاضرون في دائرة مرسومة على الأرض بشكل خاص لتناول الطعام والمخدرات والخمور ،ثم يمارسون بعد ذلك الفساد والجنس الجماعي ،ثم تظهر قطعةكبيرة سوداء من خلف تمثال مقام وسط المكان ويقبل الجميع ظهرها ويمسحون بأيديهم على وجوههم طالبين البركة ثم تطفأ الأنوار، وهي عادة شموع سوداء عديدة .

العماد الأصغر :

هو إقرار علني بطاعة الشيطان والخضوع التام له ثم يقرأ الإقرار التالي نصه : "يا أيها الشيطان، يا سيدي وربي أعترف بك على أنك إلهي أيها الكاهن الأعظم وأعدك بالخدمة والطاعة الكاملة طالما حييت وأنا أرفض وأنكر الإله الآخر وكل الصلوات المخصصة لقديسيها .أعدك بالقيام بكل ما هو شر وأن أجر مع رفاقي و زملائي إلى طريق الشر .وإن توقفت ليوم واحد عن عبادتك وتكريمك جسدا وروحا، عندها سأهبك حياتي على مذبح الموت" مع الإمضاء مع الاسم بالدم .

العماد الأعظم :

في العماد الأعظم يجب أن يهب العضو الجديد جسده، يدخل العضو إلى الفرقة عاريا ويضجع على الأرض وسط دائرة مدون عليها أسماء الشياطين والأرواح السفلية، تضاء شموع سوداء حوله، ثم تتقدم الكاهنة فتمسح جسده بزيت سحري، بعد ذلك يحصل على كتاب صلوات وطلبات خاصه لسيده الجديد الشيطان.

القداس الأسود :

من أبرز طقوسهم حيث يجتمعون فيه في أماكن بعيدة عن أعين الناس، ويقومون فيه بتقديم القرابين البشرية والحيوانية، وشرب دمائها وتلطيخ أجسادهم العارية بها، وتدنيس الكتب السماوية، وتعاطي المخدرات والمسكرات، والرقص على الأغاني والموسيقى الشيطانية.

أعيادهم : ولهم أعياد كثيرة يجتمعون فيها ويحتفلون بها ويمارسون بها طقوسهم الشيطانية، لكن عيدهم الأكبر هو (عيد الهالوين) ليلة الأول من تشرين الثاني الذي هو بداية عامهم الجديد، ويعتقدون أن أرواح الموتى تُطلق في هذه الليلة لترجع إلى المنازل التي كانت فيها، وللأسف فإن هذا العيد الشيطاني انتشر في الدول الغربية، وبدأ بالانتقال للدول العربية؛ حيث يَجتمعون فيه ويحتفلون بأشكال تنكرية وملابس مثيرة، ويتعاطون المخدرات والمسكرات ويرقصون على أنغام الأغاني الشيطانية والموسيقى الصاخبة.

وتنحصر مظاهر طقوس عبدة الشيطان حسبما جاء في اعترافات الجماعة المصرية التي ضبطت أواخر عام (١٩٩٦م) في أربعة مظاهر :

الأولى : وهي اللقاءات التي تجمع عناصر هذه الجماعة واستحضار الشيطان من خلال هذه الجلسات

الثانية : قراءة تراتيل من كتب ومطبوعات ومنشورات خاصة بهم مستوردة من الخارج .

الثالثة : تأتي بعد أداء الطقوس المتمثلة في الرقص الهستيري وتتمثل في تقطيع المصاحف .

الرابعة : تختم الحفلة بالتعري وممارسة جميع أنواع الفحش والفجور والشذوذ فيما بينهم .

شعارات عبدة الشيطان

لعبدة الشيطان رموز وشعارات معينة، فهم يعشقون اللون الأسود، ويستخدمونه في معظم أمورهم؛ في ملابسهم، وبيوتهم، وطقوسهم. وتقوم عابدات الشيطان بطلاء الشفاه والأظافر باللون الأسود .

ومن شعاراتهم : الصليب المقلوب ، والصليب المعقوف ، والجمجمة ، والنجمة الخماسية ، والنجمة السداسية، ورأس الكبش، ولهم رموز وإيحاءات جسدية معيَّنة، يتعارفون بها فيما بينهم، ولهم قصات شعر معينة، ويلبسون أساور وقلادات وأقراطا وسلاسل ذات أشكال معينة . كما اتخذ عبدة الشيطان أيضاً شعاراً لهم، وهي أفعى محيطة بالكرة الأرضية بشكل بيضاوي يلتقي الرأس بالذيل في عملية الالتفاف مما يعني كمال خطتهم لحكم الأرض والسيطرة عليها، ورمزا للقوة والدهاء. ولا بد أن نشير في هذا الصدد إلى أن الشيطانيين اتخذوا العديد من الشعارات ولكن تبقى الأفعى والهرم من أهم شعاراتهم وخاصة الهرم ذو العين الواضحة في رأسه والتي تشع نوراً، وهي كناية عن أن الشياطين هم مصدر النور لهذا العالم .

الإيمـــو :

تعتبر الإيمو من الجماعات المشابهة لعبدة الشيطان والإيمو هو اختصار لمصطلح (متمرد ذو نفسية حساسة) فقد أتت كلمة (Emo) اختصاراً لـ (Emotion) والتي تعني الانفعال والإحساس. وأطلقت بالبداية على نوع من الموسيقى التي تبدأ منخفضة وهادئة ثم ترتفع بشدة، ثم أصبحت تسمية لجماعة تتبع نظام لبس معين وموسيقى معينة وتسريحة شعر معينة، وقد أخذت هذه الظاهرة بالانتشار بين الشباب المراهقين بين عمري (١٢-١٧) ومن يتعدى سن الـ (١٧) سيتخلى عن هذه الجماعة لأنه ليس

بالسن المطلوب. الإيمو ليس لهم ديانة محددة يقول البعض إنهم من عبدة الشيطان لأن الوشم والرسومات التي يرسمونها على أجسامهم توحي إلى الشياطين .

وختاماً نستطيع القول :

إن معتقدات عبدة الشيطان تَرتكِز على اعتبار الشيطان هو صاحب القوة الأعظم في هذا الكون، وأنه هو الذي يستحق العبادة؛ لأنه يُحلِّل لهم كل المحرمات التي تُحرمها عليهم الأديان السماوية، وأن هذه الحياة هي للملذات والشهوات، وعليهم أن يَغرفوا منها بأكبر قدر ممكن بكل الوسائل دون قيود أو ضوابط.

حكم عبادة الشيطان:

إن الإسلام يعتبر ما جاء به هؤلاء جريمة كبرى، وهو ارتداد عن الدين وكفر صريح وانحطاط بالفطرة والقيم الإنسانية .

يقول ابن تيميه رحمه الله : إن الشيطان ونسله تلاعبوا بأبناء آدم منذ بداية البشرية وأنه لا سبيل لمقارعته إلا بالاستعانة بالله عز وجل ، وصدق الله العظيم حين قال : { لَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ(٦٠)وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ * وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلاً كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ * هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ } [يس:٦٠-٦٢] وواقع الأمر يحتم علينا تقديم الإسلام كبديل حقيقي لكل هذه الخرافات، واعتباره الدواء الناجح لهذا الفراغ الروحي والخواء الديني الذي تعيشه الإنسانية، فقد منح الإسلام معنًى لحياة الإنسان انطلاقا من التوحيد الذي يدفعه لبناء الحضارة الإنسانية .

المحاضرة العاشرة

المبحث الثالث: البهائية والبائية:

أولا :التعريف بالبهائية:

البهائية هي : مذهب مصنوع من مزيج أخلاط من الديانات البوذية والبرهمية والوثنية والزرادشتية واليهودية والمسيحية والإسلامية ومن اعتقادات الباطنية ،وهي حركة نبعت من المذهب الشيعي الشيخي سنة (١٢٦٠هـ/١٨٤٤م) تحت رعاية الاستعمار الروسي واليهودية العالمية والاستعمار الإنجليزي بهدف إفساد العقيدة الإسلامية وتفكيك وحدة المسلمين وصرفهم عن قضاياهم الأساسية .

والبهائية هي منتهى أمد البابية، فالبهائية هي النحلة اللقيطة للبابية، وكلاهما حركتان باطنيتان نشأتا في إيران في النصف الأول من القرن الثامن عشر الميلادي، بمباركة الاستعمار الروسي ومعاينة اليهودية العالمية، وبرعاية الاستعمار الإنجليزي، وجميعهم يتداعون على العقيدة الإسلامية لإفسادها، وإثارة الفتن بين المسلمين بغية تفكيك وحدتهم، مما يضمن السيطرة الاستعمارية على العالم الإسلامي.

والبابية تنسب إلى الميرزا علي محمد الشيرازي، والبهائية تنسب إلى خليفته من بعده المدعو حسين علي، ولمّا كانت البابية هي الحركة الأم والأصل للبهائية، فإنا نبدأ بالحديث عنها أولاً .

حول البابية :

فيما يلي نعرض لتطواف موجز حول تأسيس ونشأة البابية مع عرض شيء من عقائدها وأفكارها كتقدمة للبهائية الوليدة غير الشرعية لها :

المؤسس :

أنشأ البابية ودعا إليها الميرزا "على بن محمد بن رضا الشيرازي"، ولد بالمدينة الفارسية "شيراز" سنة (١٢٣٥ق/١٨٢٠م) ونسب إليها ، لما بلغ سن الخامسة والعشرين وذلك في سنة (١٨٤٤م) ادعى أنه الباب أي : أنه سكرتير وحاجب للمهدي المنتظر والمتحدث باسمه، واستطاع أن يكسب عدداً من الناس، خاصة من بسطاء العقول والجهلة بالإسلام من خلال ما يظهره لهم من الزهد والتقشف،، وكان كثيراً ما يسمعهم الحديث المشهور في أوساط الشيعة: "أنا مدينة العلم وعلي بابها"، واعتبر اليوم الذي أظهر فيه "علي محمد الشيرازي" دعوى البابية عيداً، سماه البابيون "عيد المبعث" وما زالوا حتى اليوم يقدسونه ويحرِّمون العمل فيه .

من مزاعم الباب :

كانت للباب العديد من المزاعم التي استطاع من خلالها التأثير على بسطاء العقول، وجهلة الإسلام، من هذه المزاعم :

١- ادعاؤه بأنه المهدي المنتظر:

لما وجد الباب مقاومة من العلماء لدعواه البابية، وميل الجهلة من العوام إليه، أعلن أنه المهدي المنتظر، وزعم أن جسم المهدي اللطيف قد حلّ في جسمه المادي، وأنه يظهر الآن ليملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعد أن ملئت ظلماً وجوراً .
وزعم الباب عددا من المزاعم الأخرى لا مجال للإطناب فيها، ومنها على سبيل المثال تأويله للقرآن حسب هواه وإنكاره للمعجزات، والزعم بعدم ختم باب النبوة .

٢- ادعاء الباب للوحي والرسالة:

ادعى "علي محمد الشيرازي" للرسالة وزعم أنه رسول من الله تعالى، بل زعم أنه محمد رسول الله وأن الوحي يتنزل عليه، وأن الله أنزل عليه كتابا اسمه "البيان"، وأن القرآن قد أشار إليه بقوله تعالى : { الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْءَانَ * خَلَقَ الإِنْسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ } [الرحمن:١-٤]، فالإنسان هو محمد الذي تقمصه الباب ، والبيان هو الكتاب الذي ادعى أنه نزل عليه .ولما ناظره العلماء، وسألوه عن الرسالة التي جاء بها، أجابهم الباب علي محمد: « إني أنا الموعود، وأنا الذي دعوتموه منذ ألف سنة، وتقومون عند سماع اسمه، وكنتم تشتاقون للقائه عند مجيئه، وتدعون الله بتعجيل ساعة ظهوره، الحق أقول لكم: إن طاعتي واجبة على أهل الشرق والغرب... ولقد آتاني الله البرهان، ففي ظرف يومين وليلتين أقرر أني أقدر أن أظهر آيات توازي في الحجم جميع القرآن . »

نهاية الباب:

استشعر الناس والعلماء خطورة الباب بمعتقداته الكافرة، ففزعوا إلى والي شيراز الشاه ناصر الدين، وطالبوه بإقامة الحد عليه وتخليص البلاد والعباد من ضلالاته وبدعه، وبعد ثبوت الحجة عليه، أمر بقتل الباب الشيرازي.
وفي صباح يوم السابع والعشرين من شهر شعبان عام (١٢٦٦ﻫ) الموافق (٨/تموز/١٨٥٠م)، نُفِّذ عليه الحكم بالإعدام رمياً بالرصاص عن عمر يزيد قليلاً عن ثلاثين سنة، وسحب المسلمون جثته في الشوارع على سبيل النكاية بالكافر عدو الله، وقد أخذ بعض أتباعه جثته ونقلوها بعد فترة من الزمان إلى جبل الكرمل بحيفا من مدن فلسطين، وهناك دفن حيث دفن عبد البهاء عباس، ويقال إن الوحوش أكلتها فاحتج مجتهدو الشيعة بذلك على فساد دعوى الباب بأنه هو المهدي، لأن المقرر عندهم أن أجساد الأئمة الاثني عشر محفوظة ومصونة من السباع والحشرات ولا يعتريها البلى، فقابلهم أتباع الباب بأنهم اختطفوا الجثة بالليل ووضعوها داخل صندوق ونقلوها من أذربيجان إلى جهة مجهولة" .

ثانيا :نشأة وأسباب ظهور البهائية :

سبقت البهائية قبل ظهورها إرهاصات تنذر بطلائعها، حيث كان الدعي الباب قبل إعدامه يبشر بنبي ورسول من بعده اسمه "البهاء" وبعد أن حاكمته الدولة العلية وأعدمته قام من بعده شخص يدعى "ميرزا حسين علي المازندراني" ابن أحد وزراء إيران وأعلن في بغداد أنه الرسول المنتظر ـ موعود كل الأزمنة".

ويزعم رؤوس البهائية في كل كتاباتهم أن الباب لما علم بأنه سيعدم جمع مكتوباته وخاتمه ومقلمته في جعبة وأرسلها مع مفتاحها بصحبة شخص اسمه محمد باقر ليسلمها إلى ملا عبد الكريم القزويني في مدينة قم فلما وصلت الجعبة إلى ملا عبد الكريم أعلن أنه مأمور بإيصالها إلى ميرزا حسين على المازندراني، وبسبب ذلك انتحل حسين علي اسم بهاء الله، ونازع كبار البابيين مقام الرئاسة عليهم، ولكن أكثرهم وخصوصا في إيران لم يسلموا له ذلك وظلوا على بابيتهم، فلم يبال حسين علي بكل ذلك، وأصر على أن الباب كان كمحمد وعيسى وموسى عليهم الصلاة والسلام ؛ إنما جاء ليبشر بالبهاء حسين علي، وهذه هي مهمة جميع الأنبياء .

ومما ساعده على نشر أباطيله وضلالاته الدعم الذي كان يتلقاه من أمريكا ومن اليهود ومن غيرهما من أعداء الإسلام، فلقد هيأت اليهودية العالمية موعد ظهور بهاء الله في السنة التاسعة عشرة من ظهور الباب في حديقة الرضوان، واختارت مقره الأخير في "عكا " مهبطا لما تنفث فيه من وحي، ووكرا لاجتماع أقطابها لتوجيه الحركة وعقد الصفقات مع العملاء ، وظلت تدعو اليهود في إيران للدخول بشكل جماعي في تبعية البابية والبهائية، وقد استجاب يهود إيران لمشورة الماسونية اليهودية فدخل في هذه النحلة الجديدة مجموعة كبيرة من اليهود الإيرانيين، ففي طهران دخل فيها منهم (١٥٠) يهودياً وفي همدان (١٠٠) يهودي، وفي كاشان (٥٠) يهودياً وفي كلبا كيان (٨٥) يهودياً، بل لقد دخل حبران من أحبار اليهود إلى البابية في همدان وهو الحبر الياهو والحبر لازار .

التعريف بالبهاء في سطور:

هو (الميرزا حسين علي بن الميرزا عباس بزرك النوري)، ولد حسين في مازندران، وعلى رأي في ظهران عام (١٢٣٣ق) الموافق (١٨١٧م)، عرف منذ شبابه ميله إلى علوم الصوفية والشيعة، والفلسفة اليونانية، وتأثر كثيراً بالفكر السوفسطائي، وقد أظهر تفوقاً في تلك العلوم، كان يحضر مجالس العلماء مستفيداً ومناقشاً ومجادلاً لهم.
استطاع بثقافته الواسعة وقدرته على الجدل والتفلسف، وبالمكر والحيلة أن يصبح في الموقع الممتاز بعد هلاك الباب الميرزا علي محمد، ويتصدر الزعامة والخلافة، بل ويؤسس مذهباً جديداً عرف باسمه "البهائية" .

استقر البهاء في عكا، وفيها لقي الحفاوة والترحيب، بل الرعاية والحماية والمساعدة من اليهود والإنجليز، فمكنوه من الاستمرار في دعوته، وطلب منه اليهود أن يتبرقع حتى لا يُرى وجهه، ومنع من نشر صوره إمعاناً في خلع الهيبة عليه لكن الله تعالى لم يمهله طويلاً، إذ سلط عليه ما يسلبه عقله، ويفقده القدرة على التمييز بين النار والنور، والأسود والأبيض، والحار والبارد، وصدرت عنه الأقوال والحركات الرديئة المنفرة للعوام منه، وانحدر إلى رتبة الحيوانات، حيث أصابه المرض والجنون مما اضطر ابنه عباس إلى حبسه حتى لا يراه الناس، ثم أصيب بالحمى الشديدة، وفي السادس عشر من مايو سنة ١٨٩٢م هلك البهاء ودفن في قبر يسمى بيت البهجة في مدينة حيفا على سفح جبل الكرمل بفلسطين. وقد خلفه في القيام على المذهب ابنه عباس أفندي المسمى عبد البهاء أو غصن أعظم المولود سنة (١٨٤٤م) والهالك سنة (١٩٢١م) .

ثالثاً : أهم الشخصيات وأبرزها :

من أهم الشخصيات التي اشتهرت في البهائية :

١- الميرزا حسين علي الملقب بهاء الله المولود (١٨١٧م) نازع أخاه خلافة الباب وأعلن في بغداد أمام مريديه أنه المظهر الكامل الذي أشار إليه الباب وأنه رسول الله الذي حلّت فيه الروح الإلهية لتنهي العمل الذي بشر به الباب .
٢- قرة العين واسمها الحقيقي أم سلمى، من أقوى الشخصيات في الديانة، قامت خطيبة في مؤتمر بدشت تدعوا إلى :

أ. نسخ الشريعة المحمدية وإبطالها.
ب. وأن الانشغال بالصوم والصلاة والزكاة وسائر ما أتى به محمد كله لغو، وفعل باطل، ولا يعمل به إلا كل غافل جاهل.
جـ. كما ذكرت أن الباب سيوحد جميع الأديان الموجودة حتى لا يبقى إلا دين واحد، هو دينه الجديد وشرعه الحديث .
٣- عباس أفندي : الملقب بـ عبد البهاء ولد في (٢٣/مايو/١٨٤٤م) نفس يوم إعلان دعوة الباب، أوصى له والده البهاء بخلافته فكان ذا شخصية جادة لدرجة أن معظم المؤرخين يقولون بأنه: لولا العباس لما قامت للبابية والبهائية قائمة، ويعتقد البهائيون أنه معصوم غير مشرع، وكان يضفي على والده صفة الربوبية القادرة على الخلق .

رابعاً : أهم عقائد البهائية :

لم تختلف البهائية في عقائدها عن البابية كثيراً، إلا أن الميرزا حسين علي البهاء ادعى لنفسه ما ادعاه الباب من قبل لنفسه، وزاد على ذلك دعوى الإلوهية، وعقائد أخرى أبرزها :

١- تدرج البهاء في مزاعمه الضالة تدرجا تصاعديا : زعم حسين المازندراني في بدء الدعوة أنه خليفة الباب الذي بشر به وجعله خليفة له، كما بشر يوحنا المعمدان بعيسى ابن مريم، ثم ترقى في الادعاء فزعم أنه المهدي المنتظر، ثم ادعى النبوة الخاصة، ثم بعد مدة زعم أنه النبي لكل البشر، وهي النبوة العامة المذكورة في الكتب البهائية، وفي طور جديد ادعى الإلوهية على أساس أن الإله حل فيه، وكتب كتابا سماه الأقدس زعم أنه وحي من الله ، وأخذ يصف نفسه بصفات الله، وما ورد في الأقدس من ادعائه صفات الإله ما جاء في مخاطبته أتباعه "يا ملأ الإنسان اسمعوا نداء مالك الأسماء إنّه يناديكم من شطر سجنه الأعظم إنّه لا اله إلا أنا المقتدر المتكبّر المتسخّر المتعالي العليم الحكيم إنه لا اله إلاّ هو المقتدر على العالمين" .
٢- إنكار الأسماء والصفات : حيث استقرت عقيدة البهائيين -كما قررها لهم البهاء حسين على المازندراني أن الله ليس له أسماء ولا صفات ولا أفعال، وأن كل ما يُضاف إليه من أسماء وصفات وأفعال هي رموز لأشخاص ممتازين من البشر قديماً

وحديثاً هم مظاهر أمر الله ومهابط وحيه في زعمهم، وآخرهم وأكملهم هو مفسر سورة الواقعة في مؤتمر بدشت ميرزا حسين المازندراني الذي لقب نفسه بهاء الله، فهو عند نفسه وعند أذنابه مظهر الله الأكمل، وهو الموعود، ومجيئة الساعة الكبرى، وقيامة القيامة، ورسالة البعث، والانتماء إليه الجنة، ومخالفته هي النار، وأن الديانات السابقة والأنبياء كانت مهمتهم التبشير بسخافاته، وأن ظهوره هو ظهور جمال الله الأبهى". ومن أقواله في ألوهيته أيضا : "لا يرى في هيكلي إلا هيكل الله، ولا في جمالي إلا جماله، ولا في كينونتي إلا كينونته، ولا في ذاتي إلا ذاته.. ولا يرى في ذاتي إلا الله « وعليه فالبهاء في العقيدة البهائية هو مظهر الله الأكمل، وظهوره هو ظهور جمال الله الأبهى .

٣- تأويل اليوم الآخر تأويلا باطنيا أهوائيا : زعمت البهائية أن مجيء البهاء هو مجيء الساعة الكبرى، وقيامه القيامة، ورسالته البعث، والانتماء إليه الجنة، ومخالفته هي النار "

٤- ادعاء البهاء لعلم الغيب : قام البهاء بإرسال الرسائل والكتب للحكام والملوك، وفيها يتحدث عن علمه للغيب، ومعرفته بما سيحدث في المستقبل، ومن ذلك قوله: إن حكومة نابليون الثالث ستسقط، وبالفعل سقطت بعد أربع سنوات، وكان هذا سبباً في تصديق الكثيرين له، مع أنه لم يعين زمن السقوط، ومن المعلوم أن كل حكومة مصيرها السقوط بموت رئيسها أو بثورة تنهيها .

٥- إنكار معجزات الأنبياء إلا ما جاء في عكا على حد زعمهم .

٦- إنكار إعجاز القرآن إلا ما جاء في البشارة بالبهاء كما يزعمون .

٧- إلغاء الجهاد في سبيل الله التي نص عليها القرآن وصحيح السنة ، وفي دعوة البهائية لإلغاء الجهاد قضاء على روح الكفاح في الإسلام والاستسلام للمستعمرين، وهذا يؤكد انتماءهم للصهيونية العالمية.

٨- لقد نسب البهائيون إلى ربهم البهاء حسين علي كتباً مقدسة يؤمنون بأنها وحي الله، ومنها: كتاب الأقدس، وكتاب الإيقان، وقد اتخذت "البهائية" هذه الكتب لتكون دستورًا دينيًا لهم كالقرآن، وقد لفقوها تلفيقًا ركيكًا من آيات قرآنية وكلمات عامية، وبدلوا فيها أصول الإسلام وفروعه، وادعوا فيها لأنفسهم النبوة أو الإلوهية .

خامسا :من تعاليم البهائية في التشريع والنظم الاجتماعية:

أولا : المساواة بين المرأة والرجل، وخاصة في القضايا الاجتماعية: فألغى تعدد الزوجات، ومنع الطلاق إلا في حالات نادرة جداً، وإذا ما طلقت المرأة فلها أن تتزوج دون أن تنتظر لقضاء العدة، والمساواة بين الرجل والمرأة في الميراث، وفي كافة الحقوق .

ثانيا : محاربة اللغة العربية الفصحى، قال البهاء في ألواحه: "يا قلمي الأعلى بدِّل اللغة الفصحى باللغة النوراء"

ثالثاً : إلغاء ما جاء به الإسلام من أحكام الحلال والحرام في البيوع والأطعمة وغيرها ، وإحلال العقل في الحكم محل الشرع .

رابعا : نبذ القيود الإسلامية، والتحلل من القيم والضوابط الدينية.

خامسا : المساواة بين الناس دون الالتفات إلى الألوان والأجناس والأديان .

سادسا : الصوم: يصوم البهائيون الشهر التاسع عشر -السنة عندهم تسعة عشر شهراً- وعدد أيامه تسعة عشر يوماً، آخرها عيد النيروز الفارسي الأصل وهو يوم ٢١ مارس (آذار)"، ويعفى من الصيام من كان دون البلوغ، والمريض، والطاعن في السن، والمرأة الحامل والحائض والنفساء، ولا قضاء على هؤلاء جميعاً.

سابعا : الصلاة: يصلونها فرادى، وعدد ركعاتها تسع، وأوقاتها ثلاثة: حين الزوال، وفي البكور، وفي الآصال، وقبلتهم مدينة عكا حيث يرقد الهالك بهاء الله، وصلاة الميت تصلى جماعة، ولصلواتهم أدعية وترانيم خاصة، ويُعفى منها من يُعفى من الصوم. ويسبق الصلاة الوضوء، ومَنْ فقد الماء، فما عليه إلا أن يقول: بسم الله الأطهر خمس مرات ثم شرع في الصلاة.

ثامنا : الحج: ليس للحج وقت معين، والحجاج يتوجهون إلى الدار التي ولد بها مؤسس الديانة البابية الميرزا علي محمد بمدينة شيراز، أو إلى الدار التي نزل بها "بهاء الله" حسين علي .

سادساً :نشاط البهائية ومراكز نفوذهم :

تقطن الغالبية العظمى من البهائيين في إيران وقليل منهم في العراق وسوريا ولبنان وفلسطين المحتلة حيث مقرهم الرئيسي، وكما أن لهم عدة محافل مركزية في أفريقيا بأديس أبابا وفي الحبشة وكمبالا بأوغندا ولوساكا بزامبيا التي عقد بها مؤتمرهم السنوي في الفترة من ٢٣ مايو حتى ١٣ يونيو ١٩٨٩ م، وجوهانسبرج بجنوب أفريقيا وكذلك لهم محافل بكراتشي بباكستان .

ولهم أيضاً حضور في الدول الغربية فلهم في لندن وفينا وفرانكفورت محافل وكذلك بسيدني في استراليا ويوجد في شيكاغو بالولايات المتحدة أكبر معبد لهم وهو ما يطلق عليه مشرق الأذكار ومنه تصدر مجلة نجم الغرب وكذلك في ويلمنت النويز (المركز الأمريكي للعقيدة البهائية) وفي نيويورك لهم قافلة الشرق والغرب وهي حركة شبابية قامت على المبادئ البهائية ولهم كتاب دليل القافلة وأصدقاء العلم. ولهم تجمعات كبيرة في هيوستن ولوس أنجلوس وبيركلين بنيويورك حيث يقدر عدد البهائيين بالولايات المتحدة حوالي مليوني بهائي ينتسبون إلى ٦٠٠ جمعية .

كما استطاعت البهائية أن تتسلل إلى أرض الكنانة مصر وبعض الدول العربية وخاصة العراق، ففي سنة ١٩٦٠ أصدرت الحكومة المصرية قراراً بحل المحفل البهائي بالقاهرة لثبوت تعامل أعضائه بالتجسس لصالح إسرائيل، وتم اعتقال الكثيرين منهم، وفي سنة ١٩٧٢م ألقت الحكومة القبض على مجموعة بهائية بمدينة طنطا، وفي سنة ١٩٨٥م كشفت الحكومة المصرية بعض العناصر البهائية التي تحتل مراكز قيادية في الفكر والثقافة .

وفي العراق أصدرت وزارة الداخلية قراراً في ١٩٦٥/٤/١١م بمنع النشاط البهائي، ولكن يبدو أنه لم تكن الحكومة جادة في تنفيذه، وفي سنة ١٩٧٠م صدر قرار آخر لنفس الغرض، وهدد القرار في هذه المرة باتخاذ الشدة والحزم في وقف النشاط البهائي

سابعاً : البابية والبهائية في الميزان:

أصاب ابن عاشور وأوجز وأنجز في بيان الحكم على البهائية من خلال رؤية وموقف الإسلام مع البيان والحجة، فقال في تفسير قوله تعالى : (مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا) [الأحزاب:٤٠] .

"وقد أجمع الصحابة على أن محمداً ﷺ خاتم الرسل والأنبياء وعرف ذلك وتواتر بينهم في الأجيال من بعدهم، ولذلك لم يترددوا في تكفير مسيلمة والأسود العنسي فصار معلوما من الدين بالضرورة، فمن أنكره فهو كافر خارج عن الإسلام، ولو كان معترفا بأن محمداً ﷺ رسول الله للناس كلهم.

وهذا النوع من الإجماع موجب العلم الضروري كما أشار إليه جميع علمائنا، ولا يدخل هذا النوع في اختلاف بعضهم في حجية الإجماع ؛ إذ المختلف في حجيته هو الإجماع المستند لنظر وأدلة اجتهادية بخلاف المتواتر المعلوم بالضرورة، ولذلك لا يتردد مسلم في تكفير من يثبت نبوءة لأحد بعد محمد ﷺ وفي إخراجه من حظيرة الإسلام، ولا تعرف طائفة من المسلمين أقدمت على ذلك إلا البابية والبهائية وهما نخلتان مشتقتان ثانيتهما من الأولى، فمن كان من المسلمين متبعا للبهائية أو البابية فهو خارج عن الإسلام مرتد عن دينه تجرى عليه أحكام المرتد. ولا يرث مسلما ويرثه جماعة المسلمين ولا ينفعهم قولهم: إنا مسلمون ولا نطقهم بكلمة الشهادة لأنهم يثبتون الرسالة لمحمد ﷺ، ولكنهم قالوا بمجيء رسول من بعده ".

وكذلك قرر المجمع الفقهي بمكة المكرمة، خروج البهائية و البابية عن شريعة الإسلام واعتبارها حربًا عليه، وكفر أتباعهما كفرًا بواحًا لا تأويل فيه . وأن المجمع ليحذر المسلمين في جميع بقاع الأرض من هذه الفئة المجرمة الكافرة، ويهيب بهم أن يقاوموها، ويأخذوا حِذرهم منها، لا سيما أنها قد ثبت مساندة الدول الاستعمارية لها لتمزيق الإسلام والمسلمين .

وجاء في فتاوى الأزهر القول بردة القوم، ففي نص لفتوى الشيخ جاد الحق على جاد الحق في (١/صفر/١٤٠١ç) (٨/ديسمبر/١٩٨١م) ما يلي :

"البهائية أو البابية مذهب مصنوع مزيج من أخلاط الديانات البوذية والبرهمية والوثنية والزرادشتية واليهودية والمسيحية والإسلامية ومن اعتقادات الباطنية ، والبهائيون لا يؤمنون بالبعث بعد الموت ولا بالجنة ولا بالنار، وهم بهذا لا يعترفون بنبوة سيدنا محمد رسول الله ﷺ وأنه خاتم النبيين ، وبهذا ليسوا من المسلمين، وقد أجمع المسلمون على أن العقيدة البهائية أو البابية ليست عقيدة إسلامية، وأن من اعتنق هذا الدين ليس من المسلمين، ومرتد عن دين الإسلام" .

المحاضرة الحادية عشر

المبحث الرابع: القاديانية

التعريف بها :

هي طائفة تنسب نفسها إلى الإسلام، نشأت سنة (١٩٠٠م)، بتخطيط من الاستعمار الانجليزي في شبه القارة الهندية، بهدف إبعاد المسلمين عن دينهم وعن فريضة الجهاد بشكل خاص، حتى لا يواجهوا المستعمر باسم الإسلام ، و قد أسسها الميرزا غلام أحمد بمدينة قاديان ومن هنا جاء اسمها .

التأسيس وأسباب النشأة:

يرجع تأسيس القاديانية إلى الميرزا غلام أحمد القادياني ، ولد في قاديان من بنجاب في الهند عام (١٨٣٩م) ، نشأ في أسرة اشتهرت بخيانة الدين والوطن والوفاء للمستعمر الانجليزي، الأمر الذي جعله خير أداة لتنفيذ مخططاتهم . وذاع صيت غلام أحمد واشتهر أمره بعد أن توجه للتأليف والمناظرة مع الخصوم، وقد ركّز كتاباته في موضوع الملل والنحل والعقائد، ومن هذه الكتب: (ترياق القلوب) و (الاستفتاء)، وكتابه (سفينة نوح) وغير ذلك من المصنفات المسمومة التي يدعي فيها المكاشفة والنبوة، وأنه المسيح المخلص، وجم غفير من ركام التصورات والخيالات والأوهام التي أشرف عليها الإنجليز .

وقد مر القادياني في دعوته بثلاث مراحل هي :

١. مرحلة دعوى الإصلاح والتجديد .
٢.مرحلة إدعاء أنه المسيح الموعود و المهدي المنتظر.
٣. مرحلة إدعاء النبوة ، هذه المرحلة و صل إليها القادياني، ليس باصطفاء من الله تعالى كما هو حال الأنبياء والمرسلين، قال تعالى (اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ) الحج : 75 وإنما بترشيح من أحد أتباعه هو « المولوي عبد الكريم " الذي قدمه للمنزلة الجديدة، أثناء خطبة الجمعة قائلا من فوق المنبر.

"إن الميرزا غلام أحمد مرسل من الله، والإيمان به واجب، والذي يؤمن بالأنبياء ولا يؤمن به يفرق بين الرسل، ويخالف قول الله تعالى : (لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ) [البقرة:٢٨٥]، أثارت هذه الخطبة نقاشاً بين الرجال الذين آمنوا بالميرزا كوليٍّ ومجدد ومهدي معهود ومسيح موعود، وكانت مفاجأة آلمت بعضهم وأدهشت آخرين، وكان في مقدمة المنكرين الشيخ محمد أحسن الأمروهي، فعاد المولوي عبد الكريم وألقى خطبة في هذا المعنى في الجمعة الثانية، والتفت إلى الميرزا وقال له: " أنا اعتقد أنك نبي ورسول، فإن كنت مخطئاً نبهني على ذلك" ولما انتهوا من الصلاة وهم الميرزا بالانصراف أمسك المولوي عبد الكريم بذيله وطلب منه الحكم، فأقبل إليه الميرزا وقال: " هذا الذي أدين به وأدعيه"، وأقلق ذلك الشيخ محمد أحسن، وجعل يناقش المولوي عبد الكريم وارتفع صوتهما، خرج الميرزا من بيته، وقال : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ) [الحجرات:٢]، بهذه الحادثة ادعى القادياني، أنه نبي وأنه يتلقى الوحي من السماء كعادة الأنبياء.

وقد صار له أتباع وأعوان فانبرى له كثير من العلماء وردوا عليه وبينوا أنه دجال من الدجالين، وكان منهم العالم الكبير ثناء الله الأمر تسري الذي كان من أشد العلماء عليه حتى إنه في عام (١٣٢٦ه)ـ تحدى القادياني الشيخ ثناء الله هذا، بأن الكاذب المفتري من الرجلين سيموت، ودعا الله أن يقبض المبطل في حياة صاحبه ويسلط عليه داء، وبعد ثلاثة عشر شهرا وعشرة أيام تقريبا أصيب القادياني بدعوته . وقد ذكر أبو زوجته نهايته بقوله : ولما اشتد مرضه أيقظني فذهبت إلى حضرته ورأيت ما يعانيه من الألم فخاطبني قائلا : أصبت بالكوليرا ثم لم ينطق بعد هذا بكلمة صريحة حتى مات في (٢٦/مايو/١٩٠٩م) .
وقد كفره العلماء وطردوه من البلاد الإسلامية، وكفَّروا أتباعه؛ وتكفيرهم بإجماع المسلمين، لم يخالف في هذا أحد.

أهم أسباب نشأة القاديانية :

تنبعث أسباب نشأة القاديانية من منطلقين رئيسين،هما :

الأول : تفريق وحدة المسلمين، وتوهين قوتهم، وهدم مبادئهم وعقائدهم .

الثاني : تمكين الدولة البريطانية من بسط نفوذها على البلاد الإسلامية التي اغتصبتها، لا سيما الهند التي نشأت هذه الطائفة فيها.

ومن المفزع أن نشاط هذه الطائفة باسم الإسلام قوي جدا، وإمكاناتهم في التلبيس على الناس واسعة، من المرافق والأموال والأنمة، ولهم كتب مترجمة بلغات البلدان الأوربية كلها تقريبا، تنشر فكرهم ومعتقداتهم وتدعو إليهما، ولهم نشاط إعلامي وتعليمي واقتصادي وسياسي، ويجدون دعما ماديا ومعنويا من الدول الأوربية، وبخاصة بريطانيا التي صُنِعُوا على عينها، ولديهم إمكانات يساعدون بها من يلجأ إليهم مضطرا من المسلمين الأوربيين وغيرهم، ممن تسوء ظروفهم المادية ويجدون ضيقا في حياتهم في أوروبا، وهم يستغلون ذلك لنشر معتقداتهم، كما يفعل النصارى مع المسلمين الجهال المحتاجين في بعض البلدان .

ابرز الشخصيات في المذهب القادياني:

أصبح للقادياني أتباع، ولدعوته دعاة يروجون لسلعته الفاسدة ولعقيدته الباطلة، وكان من بين هؤلاء : نور الدين، وهو الخليفة الأول للقادياني، وضع الإنجليز تاج الخلافة على رأسه فتبعه المريدون، من مؤلفاته :فصل الخطاب، و"الحكيم نور الدين" كما يسمى عند أتباع هذه الطائفة قد ألقى بنفسه وجهوده في مساعدة النحلة القاديانية نشأة واستمراراً، وفي مساعدة منتحليها، وتسهيلً للحياة أمامهم، وبذل للأموال التي يستعينون بها على قضاء حوائجهم .

ومنهم بشير أحمد بن الغلام، من مؤلفاته :سيرة المهدي، كلمة الفصل، ومحمود أحمد بن الغلام خليفة الميرزا غلام أحمد الثاني: من مؤلفاته: أنوار الخلافة، تُحفة الملوك، حُقيقة النبوة، كانت العلاقة بينه وبين الاستعمار الإنجليزي، خير شاهد على أن القاديانية ما أنشئت بادي ذي بدء إلا لخدمة الاستعمار وتحقيق أغراضهم ،لقد أعلن "بشير الدين محمود" فيما أعلن : "أن آلام الحكومة الإنكليزية آلامنا، فينبغ أن يفهم الجنود القاديانيون الذين يقاتلون على أرض فرنسا مع أعداء بريطانيا هذا المعنى« .
وهو الذي قد أمر بإقامة احتفالات للقاديانيين ابتهاجاً بالأنباء السارة التي أفادت أن الإنجليز قد تغلبوا على تركيا المسلمة، الى غير ذلك من الشواهد التي تؤكد استمراره على نهج والده في خدمة الانجليز .

ومنهم ظفر الله خان القادياني، الذي كان لتعيينه كأول وزير للخارجية الباكستانية أثر كبير في دعم هذه الفرقة الضالة حيث خصص لها بقعة كبيرة في إقليم بنجاب لتكون مركزاً عالمياً لهذه الطائفة .

ومنهم محمد علي، وخواجة كمال الدين أمير القاديانية اللاهورية، وهما مُنَظّرا القاديانية وقد قدّم الأول ترجمة محرفة للقرآن الكريم إلى الإنجليزية ومن مؤلفاته: حقيقة الاختلاف، النُبوة في الإسلام، والدين الإسلامي، أما الخواجة كمال الدين فله : كتاب المثل الأعلى في الأنبياء وغيره من الكتب، وجماعة لاهور هذه تنظر إلى غلام أحمد ميرزا على أنه مجدد فحسب لا على أنه نبي كأتباع الطائفة في الهند، ولكنهما يعتبران حركة واحدة تستوعب الأولى ما ضاقت به الثانية وبالعكس، ومنهم محمد صادق: مفتي القاديانية، ومن مؤلفاته: خاتم النبيين.

أهم الأسس والمعتقدات :

ما الأسس والمعتقدات التي قامت عليها القاديانية إلا مجموع أباطيل تمثل صياغة الخرافة في تبني تصورات وأوهام ما أنزل الله بها من سلطان، ومن جملة هذه الأسس والمعتقدات ما يلي :

١- إنكار ختم النبوة بمحمد ﷺ:

فقد بدأ غلام أحمد نشاطه كداعية إسلامي حتى يلتف حوله الأنصار ثم ادعى أنه مجدد وملهم من الله، وقال بأن الإلهام لم ينقطع ولا ينبغي أن ينقطع، وأن الذي يتّبع الرسول يُكرم بالعلم الظاهر والباطن، الذي أُكرم به الرسول أصالة ، ثم تدرج خطوة أخرى فادعى أنه المهدي المنتظر والمسيح الموعود، ويقول في ذلك: "وهذا عيسى المرتقب، وليس المراد بعيسى وأمه في العبارات

الإلهية إلا أنا« ، ويقول أيضا : "أحلف بالله الذي في قبضته روحي، هو الذي أرسلني، وسماني نبياً وناداني بالمسيح الموعود وأنزل لصدق دعواي بيّنات بلغ عددها ثلاث مائة ألف بيّنة« .

ثم ادعى النبوة وأنكر ختمها بالنبي ﷺ , وزعم أن نبوته أعلى وأرقى من نبوة سيدنا محمد ﷺ.

٢- القول بالتناسخ والحلول لأرواح الأنبياء، وذلك ليثبت نبوته، وكذا القول بتشبيه الله بالبشر .

٣- يعتقد القاديانيون أن الله يصوم ويصلي وينام ويصحو، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً، ومن ذلك ما قاله القادياني في كتابه (البشرى) : "وقال لي الله : إني أصلى وأصوم وأصحو وأنام" (تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً) .

٤- يعتقدون أن قاديان كالمدينة المنورة ومكة المكرمة بل وأفضل منهما وأرضها حرم وهي قبلتهم وإليها حجهم.

٥- ومن شدة احتلال عقل القادياني من قبل الانجليز وانقياده لهم، راح يزعم أن إلهه انجليزي؛ لأنه يخاطبه بالإنجليزية، وأن الذي يأتيه بالوحي هو رجل في صورة شاب انجليزي، بل ويوحى إليه بالإنجليزية أحياناً أخرى .

٦- يقولون لا قرآن إلا الذي قدمه المسيح الموعود (الغلام)، ولا حديث إلا ما يكون في ضوء تعليماته، ولا نبي إلا تحت سيادة غلام أحمد.

٧- يعتقدون أن جبريل ' كان ينزل على غلام أحمد وأنه كان يوحى إليه، وأن إلهاماته كالقرآن.

٨- يعتقدون أن كتابهم منزل واسمه (الكتاب المبين) وهو غير القرآن الكريم.

٩- يعتقدون أنهم أصحاب دين جديد مستقل وشريعة مستقلة وأن رفاق الغلام كالصحابة.

١٠- نادوا بإلغاء فريضة الجهاد كما طالبوا بالطاعة العمياء للحكومة الإنجليزية لأنها حسب زعمهم ولي الأمر بنص القرآن .

١١- كل مسلم عندهم كافر حتى يدخل القاديانية، كما أن من تزوج أو زوج من غير القاديانيين فهو كافر أيضا.

١٢- يبيحون الخمر والأفيون والمخدرات والمسكرات .

أثر القاديانية في الواقع المعاصر وأنشطتها :

اتخذت القاديانية آليات وأنشطة متنوعة، (ثقافية وتعليمية وسياسية وطبية وعسكرية)، وكان لها أثر في نشر آرائها ورواج صيتها، ومن أهم هذه الأنشطة :

١- إنشاء مدينة لهم باسم (ربوة) وهذه المدينة خاصة بهم، لهم فيها نظام بوليسي خاص، ومحاكم خاصة ومدارس وكليات ومستشفيات خاصة، ولا يستطيع أحد من المسلمين أن يشتري فيها أرضاً، أو يستأجر فيها داراً، وكل الوظائف فيها لا يشغلها إلا القاديانيون، أقاموا فيها سكرتارية فخمة مجهزة بأحدث الآلات، ومنها ينشرون التضليل القادياني .

٢- شغل المناصب الهامة في الجيش وفي الإدارة المدنية وفي السفارات الباكستانية بالقاديانيين . وكان ذلك بتأثير السير (ظفر الله خان).

٣- إنشاء المدارس والكليات والمستشفيات على مستوى عالٍ، واستدراج المسلمين عن طريقها إلى القاديانية، على مثل ما تقوم به البعثات التبشيرية المسيحية .

٤- تقديم المنح الدراسية والمساعدات المالية المشروطة باعتناق القاديانية .

٥- استغلال الوظائف والمناصب الحكومة استغلالاً غير مشروع، وذلك بربط التعيين والترقيات بأن يعتنق طالب ذلك نحلتهم .

٦- عمل القاديانيون المتغلغلون في أجهزة الحكم على منح المنتسبين إلى نحلتهم مساعدات غير عادية، ليتقدموا تقدماً كبيراً في مجالات الصناعة والتجارة والزراعة .

٧- وقاموا بنشاط كبير في مجال طبع الكتب والنشرات القاديانية، التي تثير الشبهات حول العقائد الإسلامية، وتضلل أبناء المسلمين، وتحاول إبعادهم عن الإسلام الحق.

حكم الإسلام على القاديانية :

مما سبق نعلم أن القاديانية ترمي بجذورها ونشأتها في ضروب الاحتلال الانجليزي، فالقاديانية في لبها فكرة نشأت بين المستعمر بقصد خيانة الوطن والدين، و الشئ الذي تتمتع به القاديانية هو أنها ظاهرة في أهدافها ومعلنة لها، فالمتنبي القادياني يعلن بغير ملل أنه ظل طوال عشرين عاماً أو يزيد يحارب فكرة الجهاد في المجتمعات الإسلامية لصالح الإنجليز وكذلك خلفاؤه من بعده، بل

إنه أعلن في غير خجل أو وجل أن الإنجليز هم الذين دفعوه إلى التنبؤ، ومما يلفت النظر أن هذه النحلة القاديانية تعتبر بمبادئها تمييزاً لأمة لها نبيها وخلفاؤها وعقيدتها وتشريعها انفصلت تماماً عن جسم الأمة الإسلامية بتصريحات وردت على لسان "الميرزا" وخلفائه، غير أن أتباع هذه النحلة قد حرصوا كل الحرص على أن لا ينفصلوا بصفة قانونية عن جسم الأمة الإسلامية لأن هذا الانفصال نفسه سوف يشل حركتهم ويقطعهم عن الوصول إلى غايتهم ويقعد بهم عن بلوغ الأهداف التي ما وجدوا إلا لتحقيقها فعاشوا عيشة مزدوجة فيها اتصال وانفصال.

حيث يزعم أتباع هذه الطائفة أنهم مسلمون، وأنهم إحدى الفرق الإسلامية، وهو القول الذي تصدى له مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، مؤكدا أنها من الفرق التي تتخذ الإسلام ستاراً لها على غير الحقيقة، ونبه المجمع إلى أن بعض الناس تعتقد بأن القاديانية فرقة من فرق الإسلام، وأن القاديانيين يحاولون إشاعة ذلك للدخول تحت مظلة المسلمين لحاجة في نفوسهم، مدعين أن الخلاف بينهم وبين المسلمين يقتصر على بعض المسائل الفرعية فقط، وهو غير صحيح تماماً، بل إن عقيدة الأحمدية القاديانية من خلال كتاباتهم مخالفة لما علم من الدين بالضرورة.

إن القاديانية فرقة كافرة بإجماع علماء المسلمين ، لأنها تناقض أساس المعتقد الإسلامي وتعارض ما جاء به الرسول ﷺ، و قد قرر مجمع البحوث الإسلامية أن القاديانيين مرتدون عن الدين الإسلامي ولا يحق لهم دخول مساجد المسلمين، كما قررت رابطة العالم الإسلامي أنها فرقة كافرة منحرفة،وحرّمت دار الإفتاء المصرية زواج المسلمة من شخص تحول الى العقيدة الأحمدية، التي تعرف أيضاً باسم "القاديانية "،وذلك في الفتوى التي حملت رقم (٦٩٢٤)،ونص الفتوى : "لا يحل للمرأة المسلمة أن تتزوج من شخص اعتنق القاديانية دينا لأنه بهذا
مرتد عن دين الإسلام، وإن تم عقد الزواج على ذلك يكون باطلاً شرعاً، والمعاشرة الزوجية تكون زنا محرماً في الإسلام، لأنها ارتداد عن الإسلام وخروج واضح عليه ".

كما حكم بكفرهم المجمع الفقهي التابع لرابطة العالم الإسلامي، ومجمع الفقه الإسلامي التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي.
وكذلك حكمت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء في المملكة العربية السعودية، والتي كان يترأسها سماحة العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله تعالى، بكفر معتنق القاديانية وذلك في الرد على فتوى جاء فيها:
هناك فرقة في باكستان تعرف بالقاديانية لا تعترف بختم نبوة محمد ﷺ، بل تعتقد بنبوة ميرزا غلام أحمد قادياني وبناء على ذلك لقد أعلنت الحكومة الباكستانية بأن هذه الفرقة فرقة غير مسلمة، كما أصدرت أيضا المحكمة القضائية الشرعية بباكستان قراراً يقضي بإدانة هذه الفرقة بأنها غير مسلمة، والسؤال:

١. هل يجوز الزواج بين فتاة قاديانية وشاب مسلم؟
٢. إذا تم الزواج فماذا يكون وضعه القانوني في الشرع؟
٣. ما الوضع الشرعي للمولود من هذا الزواج؟
٤. الذين يعلمون أن فلاناً من القاديانية ثم يحضرون في زواجه أو يكونون شهداء أو وكلاء في الزواج فما الحكم عليهم؟
٥. الحكم عليهم؟

أجابت اللجنة عن هذا السؤال في الفتوى التي تحمل رقم (9542) بقولها:

أولاً :لا يجوز أن يتزوج شاب مسلم فتاة تدين بالديانة القاديانية المعروفة، لكونها كافرة غير يهودية ولا نصرانية، للمقتضيات التي بني عليها الحكم بكفر القاديانيين.

ثانياً :إذا وقع ذلك وجب فسخ العقد عن طريق ولي الأمر العام المسلم أو نائبه.

ثالثاً :يلحق ولدهما من هذا الزواج بالأب إذا كان الزوج جاهلاً بالحكم، لنشوئه عن نكاح فيه شبهة.

رابعاً :من علم أمرهما لا يجوز أن يحضر زواجهما، أو يكون وكيلاً أو شاهداً فيه، بل يجب عليه إنكار ذلك والإرشاد إلى الصواب .

المحاضرة الثانية عشر

المبحث الخامس: الماسونية

إن الأمة الإسلامية منذ نشأتها تواجه تحديات مستمرة من قبل خصومها وأعدائها الذين يريدون ان يطفؤوا نور الله، وأن يخرجوا الأمة عن منهج الإسلام، ومهاجمة كيانها وعقيدتها وشريعتها ووحدتها، كما يعملون على إعاقة نهضتها واستعادتها لمجدها، وخاصة في عصرنا الحديث الذي ظهرت فيه مذاهب وأفكار وجمعيات كثيرة تعمل سرا وعلانية على تفتيت الأمة والطعن في شخصيتها وهويتها. ومن أهم هذه الجمعيات المعنية بحديثنا نجد الحركة الماسونية التي تعمل منذ أمد ليس بالقصير على بث أفكار ظاهرها فيه الرحمة وباطنها مليء بالإلحاد والكفر والتحريف، وتعمل من خلال جمعيات وأنشطة وتعاليم كلها تصب في إطار تحقيق سيطرة الصهيونية واليهودية على الأمة وعلى العالم . وفي هذه المحاضرة نحاول أن نتعرف على الماسونية، ونشأتها وأسباب هذه النشأة، وأسسها، وتاريخها، وأنشطتها ورموزها، لنكون على بينة لما يتعرض له وعينا الإسلامي من تشويه من قبل الماسونية، وما تتعرض له الأمة من مؤامرات من قبل هذه الحركة والجمعية اليهودية السرية الخطيرة في مبادئها وأهدافها وأنشطتها.

تعريف مجمل بالماسونية :

"الماسونية" حركة خطيرة ما أن يُطرح اسمها حتى يثور القلق في نفس المستمع، وما أن تذكر حتى ترى الجلساء يبدأون بتعداد مؤامراتها ومكائدها، ويظهرون الحيرة من أمر هذه الحركة، التي اعتمدت السرية إخفاءً لحقيقة أهدافها. ولعل ذلك لأن يهود الذين حاربوا الأنبياءوالرسل، وظنوا أنهم الشعب المختار، وأن ما سواهم (كوييم)؛ أي أغبياء ضالون يوجهونهم كيف يشاؤون، ويصل بهم المستوى للقول: إن الكوييم هم حيوانات بصورة بشر، أرادوا أن تكون الماسونية من جملة الأقنعة التي تستتر مخططاتهم وراءها .
وكلمة "ماسونية" من الكلمة الانجليزية (Mason) وهي تعني "البنَّاء"، ثم تضاف كلمة (Free) بمعنى "حر" وتعني "البنّاء الحر« .
وقد ترجمت الكلمتان إلى اللغة العربية بكلمة: الماسونية أو الفرماسونية أو الفرمسون كما تلفظ في بلاد الشام، أو الفرمصون كما تلفظ في العراق. فالماسونية لغة إذاً : البناءون الأحرار أو البِنَاء الحر. والبناءون الأحرار هم الذين بنوا هيكل سليمان .

الماسونية في الاصطلاح :

يمكن تعريفها بأنها: جمعية تحوي صنفاً من الناس ينتمون إلى مذاهب وديانات وجنسيات وأوطان مختلفة تضم الملحد والمؤمن والشيوعي والديمقراطي والدكتاتوري والعلماني والقومي والوطني والعربي وغير الغربي والمسلم واليهودي والنصراني والعامل ورب العمل تجمعهم غاية واحدة يعملون لها. ولا يعلم حقيقتها إلا آحاد. ولهذا نجد نشاط الماسونية العالمية محوطاً بالسرية والكتمان الشديد، لدرجة أنّ جميع المؤرِّخين بلا استثناء قد ساوَرهم الشك في تاريخ هذا النشاط الماسوني؛ فلم نجد مؤرِّخًا يتّفق مع مؤرِّخ آخَر حول تحديد النشأة التاريخية للنشاط الماسوني العالمي، ولا لِمن يعتبر أوّل مَن مارس هذا النشاط أو نظّمه أو أعدّ له، وإنما هي كلها آراء تقريبية؛ لأن مِن شرط النشاط الماسوني نفسه هو الكتمان والسرية وعدم الإعلان، حتى إننا نجد الماسونيِّين الملتحقين بالمحافل الماسونية أنفسهم لا يطّلعون على أسرار الماسونية إلا بعد أن يجتازوا مراحل عدّة، وينتقلوا من مرحلة إلى مرحلة حتى يسمح لهم بالإفصاح عن بعض الأسرار التي تتعامل بها الماسونية. ومن هنا نجد أنّ الكتمان والسرية والتخوّف يمثِّل الغلاف الجوي لهذا النشاط الماسوني .

والجمعيات الماسونية سرية، بمعنى أن طقوسها وبعض الاشارات الأخرى فيها سرية، ومن ينضم على الحركة يقسم على ألا يكشفها. ولا تسمح الحركة الماسونية لأي شخص بالانضمام إليها، وإنما يتم تجنيد الأعضاء عن طريق توصية أحد العاملين... كما أن المحافل تخفي بعض الطقوس عن الأعضاء الجدد إلى حين التأكد من ولائهم .
وإذا كانت الماسونية تعتمد السرية فهذا أمر بديهي لأنه أسلوب اعتمدته كل الحركات المخرّبة على امتداد التاريخ، فهو يسترها عن أعين الملاحقة والرقابة، ويعطيها إمكانات هائلة للتزوير وتبديل الطروحات والمواقف، وذلك يساعد في استقطاب الأتابع، لأن عدم وجود أهداف معلنة واضحة يسمح لدعاتها لأن يستخدموا مع كل شخص، أرادوا تضليله، أساليب ومفاهيم تناسب أهواءه وتطلعاته .

درجات الماسونية:

وبما أن الماسونية حركة وجمعية سرية، فقد اعتمدت نظام الدرجات ؛ فمقدار المعلومات التي يعرفها المنتسب الجديد تختلف عن التي يعرفها المنتسب القديم في انتسابه أو درجته ففي البداية اقتصرت على درجات ثلاث .. ثم أخذت تقفز إلى أربع، فسبع فعشر درجات؛ وتحافظ على الهدف نفسه وتحتفظ بالكتمان والحروف والرموز والأعداد والطلاسم .. لقد تعددت الدرجات قبل عهد أندرسن، وأخذت بالتفاوت لكن رجحنا الاصطلاح الايكوسي الذي يراها ٣٣ و يمنحها من الأولى حتى الثالثة فالثامنة عشرة فالثلاثين حتى الثالثة والثلاثين، تكريساً ويمنح ما بقي تلقيناً .

وتنقسم درجات الماسونية إلى ثلاثة أقسام :

١. **الماسونية الرمزية العامة (ابتدائية رمزية) :** وهي مجموع الناس وتحتوي ثلاثة وثلاثين درجة. وتلاميذها ابتدائيون يجهلون الأهداف: وهي ذات ثلاث وثلاثين درجة، تكثر الرموز في جميع درجاتها، ولا يرتقي أعضاؤها هذه الدرجات إلا بعد امتحانات مختلفة، وهي منتشرة في الأقطار العربية، وقسم من البلاد الأوربية والأمريكية، وأعضاؤها يشكلون السواد الأعظم من الحركة الماسونية ويتحدثون بالرموز والطلاسم والألفاظ السرية، ولهم في اجتماعاتهم مراتب وقلائد وأوسمة ولا تقبل في عضويتها من لا يعتقد بالله وخلود النفس.
٢. **الماسونية الملوكية (متوسطة ملوكية) :** ولا يسمح لغير اليهود بدخولها عدا من وصل إلى أعلى مراتب الرمزية. يعرف تلاميذها بعض الأهداف البعيدة، وهي بتعاليمها ودرجاتها وغاياتها تقدس ما ورد في التوراة، وتحترم الدين اليهودي، وتعمل على تجديد المملكة اليهودية في فلسطين، وإعادة بناء هيكل سليمان، وترتبط الماسونية الملوكية بالماسونية الرمزية ارتباطاً خفياً لا يعلمه سوى الراسخون في تاريخ الماسونيات الثلاث، ولا يدخل في هذه الفرقة إلا من تنكر لدينه ووطنه وأمته، وجرَّد ولاءه لصالح اليهودية. وأعضاؤها قليلون في الأقطار العربية وأكثرهم في فلسطين.
٣. **الماسونية الكونية (كونية أو مدرسة عالمية) :** أعضاؤها جميعاً يهود ويلقب الرئيس بالحكيم ويديرون دفة الأمور. وهذه تضم حكماء إسرائيل وورثة السر، وهم الذين يتصرفون بالمحافل عن طريق الشروق، تصرفاً يعود على اليهود وحدهم بالمصلحة ويطلقون على الابتدائيين من جميع الأمم عمياناً صغاراً وعلى الملوكيين عمياناً كباراً. ووظيفتهم استخدام الفرقتين السابقتين، لإنشاء الدولة اليهودية العالمية من خلال إشاعة الفوضى والفتن والحروب، وسلطان أعضائها فوق الأباطرة والملوك والرؤساء لأنهم يتحكمون فيهم، وزعماء الصهيونية العالمية هم من الماسونية الكونية، وقد وردت شهادات ماسونية تؤكد كون أعضاء هذه الفرقة من اليهود فقط .

نشأة الماسونية وأسبابها:

الباحث في أصل الماسونية يجد خلافاً في تحديد تاريخ نشأتها، نظراً لقدمها وتحولاتها وتغير مسمياتها. ولما أضفاه اليهود على الماسونية من أسرار وطلاسم وغموض في جميع أدوارها ومراحلها، فإن المؤرخين قد اختلفت آراؤهم وتباينت أقوالهم في أصل الماسونية وبدء نشأتها والاسم الأساسي لها . ولقد ذهب الباحث المؤرخ محمد عبد الله عنان إلى أن الماسونية من أقدم الجمعيات السرية الهدّامة التي مازالت قائمة حتى عصرنا الحاضر، وأن منشأها ما زال غامضاً مجهولاً .

وإن القراءة المتأنية لتاريخ الحركة الماسونية في الكتب، التي خطّها مناصروها والمنتسبون إليها، أو خصومها، لا توصلنا الى جواب شاف واضح عن حقيقة هذه الجمعية السرية، لا بل قل الجمعيات المتعددة النظم والمفاهيم التي لا يربطها سوى خيط رفيع شكلاً هو التسمية "ماسونية"، ويربطها، من حيث الجوهر، رابط مستتر، هو الإفساد وخدمة يهود والحركة الصهيونية. ولقد بالغ كثيرون من الماسون في الحديث عن تاريخ حركتهم عندما حاولوا أن يربطوها تاريخياً بكل جمعية سرية، أو جمعية بناء قامت في التاريخ .

وذهب بعض الباحثين في الماسونية، إلى أن مؤسسها هو والي الرومان على فلسطين، هيرودوس أكريبا من عام ٣٧–٤٤م. وكان اسم هذه المنظمة في زمنه "القوة الخفية"، وقد ساعده في تأسيسها اثنان من العاملين في بلاطه، وهما حيروم آبيود وموآب لاوى، وكان هدفها: القضاء على المسيحية عبر التنكيل بالنصارى واغتيالهم وتشريدهم، ومنع دينهم من الانتشار، ومن ثمّ إرجاع العالم إلى اليهودية. وإن صح هذا فالماسونية يهودية الأصل والنشأة، ومحافلها اليوم صورة عن محافل اليهود القديمة .

إن الحقيقة التي تجمع عليها كل المصادر أن نشأة الماسونية كانت في مطلع القرن الثامن عشر، وهو العصر الذي كانت أوروبا تتخبط فيه بين التيارات الفكرية ونشأة الأحزاب، والتجمعات بشعارات الإصلاح الديني، أو السياسي، أو الثقافي، أو الاجتماعي أو سواها، لذلك لا داعي للذهاب بعيداً قبل هذا التاريخ للبحث في المسار التاريخي للماسونية، فهي لا تعدو كونها كغيرها من الحركات التي نشأة في تلك الحقبة في أوروبا بعد الثورة الصناعية لهدف أو آخر، ولكن الماسونية، كما سنوضح لاحقاً أو كما بات أكيداً، واحدة

من الحركات التي أسسها يهود تواصلاً مع تاريخهم المشتهر بالمكائد والمؤامرات. ولعل أول المحافل الماسونية ظهورا كان في بريطانيا سنة ١٧١٧م ثم في فرنسا سنة ١٧٢٨م، ثم تلته المحافل الأخرى في العالم .
إن هذا الاستعراض يعطي دليلاً كافياً على وهمية الكثير من المعلومات المطروحة حول هذه الحركة، ويحملنا على القول بأنها لا تعدو كونها ككل الجمعيات السرية الهدامة التي تعتمد المنهج الباطني، والتي تعتمد الحيلة والمكيدة لزيادة أتباعها، وذلك باتباع أسلوب تعدد الطرح بما يناسب الموقع والشخص. في الحركات الباطنية يعتمد مع كل شخص أسلوب يناسب أهواءه، وهكذا الحال في الماسوني .

أهم الأسس التي تقوم عليها الماسونية:

تقوم الماسونية على مبادئ عديدة لعلنا نقسمها إلى قسمين: أولاً: الرموز وطريقة الانتساب، وثانياً: الشعائر؛

أ- طريقة الانتساب والرموز:

لا يوجد ثمة توافق بين المحافل الماسونية على مراسم الانتساب للماسونية، وعلى ترتيب الأدوات الرمزية داخل المحافل، ولكن هناك خيطاً رفيعاً يجمعها، ويشكل القاسم المشترك لها جميعاً.
إن موضوع الانتساب للماسونية له مستلزماته، ومنها حفلة إدخاله للمرة الأولى الى المحفل بأسلوب يحمل على الغرابة والاستهجان، حيث "يمر العضو الجديد، لدى تكريسه، بعملية مخيفة، ولكنها سخيفة وربما مضحكة .. ففي غرفة انتظار خارج المحفل، يجرد المرشح عن جميع المواد المعدنية التي يحملها. . . وعلى المرشح أن يشمر عن ساقه اليسرى بأن يلفّ سرواله إلى ما فوق الركبة، وأن يخلع حذاءه الأيمن ويلبس بمكانه نعلاً مما يُلبس في البيت أو مع لباس النوم. وعليه كذلك أن يخلع سترته، ويفتح قميصه بحيث يكون صدره مفتوحاً تماماً من الجهة اليمنى. ويُعصب رأس المرشح بعصابة سوداء تغطي عينيه، ويُلف حول عنقه حبل غليظ طويل أشبه بحبل المشنقة ويقاد بهذه الصورة الى الداخل . . . وأول ما يقابل المرشح عند دخوله المحفل، أو بالأصح اقتياده اليه، هو "حارس المحفل"، وهو الموظف الذي يقف في باب المحفل وبيده سيف مسلول ليحول دون دخول غير المرغوب في دخولهم. وتبدأ طقوس النقر بمطرقة خاصة، ويقاد المرشح الى داخل المحفل، حيث يوجّه الى صدره العاري خنجر يمسّه مساً خفيفاً، ويُجري المرشح حواراً مع الأستاذ حول الدوافع التي جعلته يسعى للانتماء الى المحفل« .
إن هذه الطريقة المسرحية، التي يخضع لها العضو الجديد، كافية لخلق الوساوس في ذهنه بحيث لو فكر لوقت طويل بها لما أمكنه أن يفهم كل حركة أمر بها رغم تفاهيتها، فلماذا تُعصب عيناه مثلاً؟ ولماذا يخلع نعله الأيمن دون الأيسر؟ ولماذا يفتح قميصه؟ ولماذا .. . ؟ ولماذا؟ . . .إنها الخديعة والمكائد لتثبيت انتماء من تمكنوا من إضلاله بتقديم طلب انتساب لحركتهم الخطرة.
والمنتسب للماسونية يجب أن يتقدم بطلب خطي، عن طريق ماسوني قديم، إلى المحفل الذي يريد الانضمام إليه، ولا يقبل قبل أن يزكيه الكفيل ناقل الطلب، وله صيغة محددة .
بعد تقديم الطلب والتزكية، ودخول المنتسب الجديد إلى المحفل بطريقة تحمل طابع مسرحية مرعبة لحمله على المواظبة والسرية والطاعة في خدمة الماسونية – الصهيونية، يأتي دور اليمين التي يؤديها داخل المحفل، والسيف على رقبته.
يستخدم الماسون، في أدبياتهم ورموزهم، كلمة محفل يدلّون بها على أماكن اجتماعاتهم السرية، ويشيرون بهذه الكلمة بشكل مموّه للهيكل لأنهم أرادوا أن يتعاهدوا على إعادة بناء هيكل سليمان في القدس.
والمحفل في دستور الماسونية، والتزاماً بأهدافها في إعادة بناء هيكل سليمان تحقيقاً لأطماع العدو الإسرائيلي، في أرض فلسطين والقدس خاصة، يجب أن يكون تصميمه الهندسي مماثلاً لوضع هيكل سليمان، وبذلك يضفي الماسون على محافلهم صفة من القداسة لتحريك الوجدان المؤسس على عقيدة خاطئة عند أتباعهم، كما هي حال يهود تماماً .
وكذلك من بين محتويات المحفل : المطرقة. كما أن من بين المقتنيات في المحافل: الكتاب، وهو التوراة، ويقصد به الماسون أنه النور الذي يبدد الظلام من أمام أعينهم، وهو المعين في ضبط أحكام الإيمان عندهم كما يعتقدون .
إن رمزية الأدوات ليست واحدة عند الجميع، وهذا هو حال كل الحركات السرية الهدامة، حيث تترك هذه الرمزية مساحة واسعة للمناورة على من يريدون تضليله حيث يفسرون له الأمور وفق ما يهوى وما يحب .
لقد استعرضنا بعض التفسيرات الرمزية لأدوات وحركات يستخدمها الماسونيون في سلامهم وسلوكهم ومحافلهم وعضويتهم، ولكن، ليس مفهوم ما ترمز اليه الأدوات واحداً بسبب تعدد المحافل ومناهجها، ولغرض آخر هو موافقة الأمزجة المتعددة لمن يريدون التغرير بهم، وإيهامهم أنهم عرّفوهم بعض الأسرار والرموز وبقيت أخرى سيتعرفونها بالتدريج. إنما حقيقة الأمر، كما يقول

الماسونيون أنفسهم، هي أن ما أباحوه ليس أكثر من صور جزئية مشوهة تدفع بعض الأشخاص باتجاههم لاستطلاع حقيقة حركاتهم فيتورطون معهم ويضلّون السبيل.

ب- الشعائر:

والشعائر العائدة للدرجة الأولى، أي للمبتدئ، هي معروفة أكثر من سواها. أما الشعائر المتعلقة بالدرجة الثانية، أي للرفيق، فلم تطبع أبداً، والنصوص المتداولة عنها مبتذلة وساذجة. والشعائر العائدة للدرجة الثالثة هي معروفة بصورة مبهمة ... وكذلك تلك التي تتعلق بممارسة وظيفة الأستاذ الأعظم، وهي أعلى رتبة في الماسونية، فلم ولن يكشف النقاب عنها أبداً. من هنا يتبين لنا أن الماسونية الممارسة ما تزال لتحتفظ بالكثير من الأسرار على الرغم من أنها اشتهرت بأنها كشفت جميع أسرارها .
فالماسونيون لم يكشفوا من أسرارهم إلا القليل المجتزأ، وأبقوا الجوانب الهامة غامضة طيّ الكتمان، وهذا أمر بديهي، ولو فعلوا غير ذلك لما صدقناهم لأن الحركة الماسونية أنشئت لأهداف معادية للدين، للقومية، للوطنية، للقيم، للأخلاق، ولذلك ليس من مصلحتها أن تكشف خططها فتسهل بذلك محاربتها، وإفشال ما ترسمه من مؤامرات. لهذا السبب نقول، لمن ظنوا أن الماسونية حركة للسلام والإصلاح الاجتماعي: إنكم واهمون أو متآمرون .
وما يبيّن بشكل أكثر صراحة الموقف المستهتر بالدين عند الماسون النص التالي على لسان أحد الماسونيين: « إننا إذا سمحنا ليهودي أو لمسلم أو لكاثوليكي أو لبروتستاني بالدخول في أحد هياكل الماسونية، فإنما ذلك يتم على شرط أن الداخل يتجرّد عن أضاليله السابقة، ويجحد خرافاته، وأوهامه التي خدع بها في شبابه فيصير رجلاً جديداً، فلو بقي على ما كان لا يستفيد البتة من محافلنا الماسونية».

وإذا ما عرف القارئ بأن اليهود هم الذين حاربوا المسيحية والإسلام، وآذوا رسل الله تعالى، وأنبياءه ﷺ، لينشروا الفساد وعبادة المال والمادة، وإذا ما عرف القارئ بأن أرضنا العربية هي مهد رسالات السماء، وأننا حملنا الدعوة الدينية للعالم أجمع لكي ننقل المجتمعات الى رحاب الإيمان بالله الواحد، مما يساهم في نشر الخلق القويم والفضيلة والصلاح، يعلم عندها المرء بأن الماسونية مشروع معدّ لتحقيق أهداف الصهيونية والاستعمار، وأولها إفساد الأثر الذي تركه الدين في تنظيم المجتمعات وسيادة الفضائل فيها .

نشاط الماسونية:

الماسونية حركة تشكل أداة بيد الصهيونية والاستعمار، ولقد اتضح بما لا يدع مجالاً للشك أن هنالك علاقة وثيقة بين الاستعمار البريطاني – الفرنسي للدول العربية، وانتشار الماسونية في تلك الدول، ولا أدل على ذلك من أن المحافل الماسونية في سوريا ولبنان كانت تابعة "للشرق الأعظم" الفرنسي، فيما أن المحافل الماسونية في العراق والأردن وفلسطين والكويت والبحرين كانت تابعة "للمحفل الأكبر" الإنجليزي، فيما عدا مصر التي شهدت الاستعمارين الفرنسي والانجليزي ومعهما محافل "للشرق الأعظم" و "للمحفل الأكبر « . كما أن الماسونية من أقوى المنظمات السرية انتشاراً ونفوذاً، فمحافلها توجد في كل العالم تقريباً، ولها في معظم الدول مراكز ومحافل، يكون رئيس المحفل الفخري أو الفعلي في الغالب الزعيم أو الرئيس للدولة، وقد استقطبت المحافل الماسونية في البلاد العربية الشخصيات السياسية والأدبية والصحفية والاجتماعية والعسكرية البارزة، ذات المكانة والتأثير في المجتمع، ولقد أصبح هؤلاء كالدمى في يد الماسونية ينفذون سياساتها وتعليماتها خوفاً على أنفسهم وعلى كراسيهم .

أ- نوادي الروتاري:

هي منظمة عالمية لها إدارة معروفة ذات عضوية يشترك بها العضو اختياراً من قبل إدارة النادي ويرشح من قبل الأعضاء ويؤدي الأخوة الإنسانية وغيرها، والغرض الخفي هو تجنيد الإنسانية لخدمة الصهيونية ويختار الشخص على أساسين:

١. أن يكون مشهوراً وذا مركز اجتماعي أو علمي أو اقتصادي أو صاحب منصب.
٢. أن يكون ذا منفعة أو مصلحة مرتبة مستقبلاً .

وقد حذرت الفتاوى الشرعية من هذه النوادي وحرمت الانضمام إليها.

ب- نوادي الليونز (أو الأسود):

هي نوادي ذات صبغة اجتماعية وحرفية واقتصادية وتركز اهتمامها على الأعمال الخيرية الظاهرية ولكنها في الحقيقية أصبع من أصابع الماسونية العالمية، ولها إدارة معروفة ومحددة المهام مثل الروتاري، يختار أعضاؤها من أصحاب النفوذ، ملوك.. وزراء وزارات، أباطرة مال... الخ. وليست أحسن حالاً من سابقتها بل الهدف واحد، والفتاوى فيها واحدة.

حكم الإسلام في الماسونية :

صدرت كثير من الفتاوى الشرعية لعلماء المسلمين بتحريم الانتماء إلى الماسونية؛ كما في المؤتمر الإسلامي بمكة المكرمة (١٩٧٤م)، وفتوى المملكة الأردنية الهاشمية (١٩٦٤م)، وفتوى الأزهر الشريف (١٩٨٥م)، والمجمع الشيعي (١٩٨٦م)، والمجمع الفقهي بمكة (١٩٧٨م) وقرار جامعة الدول العربية (١٩٧٧م). ونورد هنا "قرار المجمع الفقهي بشأن الماسونية " كما يلي:
نظر المجمع الفقهي في دورته الأولى المنعقدة بمكة المكرمة في العاشر من شعبان ١٣٩٨ﻫ الموافق ١٩٧٨/٧/١٥م في قضية الماسونية والمنتسبين إليها وحكم الشريعة الإسلامية في ذلك. وقد قام أعضاء المجمع بدراسة وافية عن هذه المنظمة الخطيرة، وطالع ما كتب عنها من قديم وجديد، وما نشر من وثائقها نفسها فيما كتبه ونشره أعضاؤها وبعض أقطابها، من مؤلفات، ومن مقالات، في المجلات التي تنطق باسمها.

وقد تبين للمجمع بصورة لا تقبل الريب من مجموع ما اطلع عليه من كتابات ونصوص ما يلي:

١- إن الماسونية منظمة سرية تخفي تنظيمها تارة وتعلنه تارة بحسب ظروف الزمان والمكان، ولكن مبادئها الحقيقية التي تقوم عليها، هي سرية في جميع الأحوال، محجوب علمها حتى على أعضائها إلا خواص الخواص الذي يصلون بالتجارب العديدة إلى مراتب عليا فيها.
٢- أنها تبني صلة أعضائها بعضهم ببعض في جميع بقاع الأرض على أساس ظاهري للتمويه على المغفلين، وهو الإخاء الإنساني المزعوم بين جميع الداخلين في تنظيمها، دون تمييز بين مختلف العقائد والنحل والمذاهب.
٣- أنها تجذب الأشخاص إليها ممن يهمها ضمهم إلى تنظيمها بطريق الإغراء بالمنفعة الشخصية على أساس أن كل أخٍ ماسوني مجند في عون كل أخٍ ماسوني آخر في أي بقعة من بقاع الأرض .
٤- أن الدخول فيها يقوم على أساس احتفال بانتساب عضو جديد تحت مراسم وأشكال رمزية إرهابية لإرهاب العضو إذا خالف تعليماتها والأوامر التي تصدر إليه بطريق التسلسل في الرتبة.
٥- أن الأعضاء المغفلين يتركون أحراراً في ممارسة عباداتهم الدينية، وتستفيد من توجيههم وتكليفهم في الحدود التي يصلحون لها ويبقون في مراتب دنيا، أما الملاحدة أو المستعدون للإلحاد فترتقي مراتبهم تدريجياً في ضوء التجارب والامتحانات المتكررة للعضو على حسب استعدادهم لخدمة مخططاتها ومبادئها الخطيرة.
٦- أنها ذات أهداف سياسية ولها في معظم الانقلابات السياسية والعسكرية والتغيرات الخطيرة ضلع وأصابع ظاهرة أو خفية.
٧- أنها في أصلها وأساس تنظيمها يهودية الجذور، ويهودية الإدارة العليا العالمية السرية، وصهيونية النشاط.
٨- أنها في أهدافها الحقيقية السرية ضد الأديان جميعاً لتهديمها بصورة عامة وتهديم الإسلام في نفوس أبنائه بصورة خاصة.
٩- أنها تحرص على اختيار المنتسبين إليها من ذوي المكانة المالية والسياسية أو الاجتماعية أو العلمية أو أية مكانة يمكن أن تستغل نفوذاً لأصحابها في مجتمعاتهم، ولا يهمها انتساب من ليس لهم مكانة يمكن استغلالها ولذلك، تحرص كل الحرص على ضم الملوك والرؤساء والوزراء وكبار موظفي الدولة ونحوهم.
١٠- أنها ذات فروع تأخذ أسماء أخرى تمويهاً، وتحويلاً للأنظار لكي تستطيع ممارسة نشاطاتها تحت مختلف الأسماء، إذا لقيت مقاومة لاسم الماسونية في محيط ما، وتلك الفروع المستورة بأسماء مختلفة من أبرزها: منظمة الأسود، والروتاري، والليونز، إلى غير ذلك من المبادئ والنشاطات الخبيثة التي تتنافى تنافياً كلياً مع قواعد الإسلام وتناقضه مناقضة كلية.

وقد تبين للمجمع بصورة واضحة العلاقة الوثيقة للماسونية باليهودية الصهيونية العالمية، وبذلك استطاعت أن تسيطر على نشاطات كثير من المسئولين في البلاد العربية وغيرها في موضوع قضية فلسطين. وتحول بينهم وبين كثير من واجباتهم في هذه القضية المصيرية العظمى لمصلحة اليهود والصهيونية العالمية. لذلك ولكثير من المعلومات الأخرى التفصيلية عن نشاط الماسونية، وخطورتها العظمى، وتلبيساتها الخبيثة، وأهدافها الماكرة يقرر المجمع الفقهي اعتبار الماسونية من أخطر المنظمات الهدامة على الإسلام والمسلمين وأن من ينتسب إليها على علم بحقيقتها وأهدافها فهو كافر بالإسلام مجانب لأهله"

المحاضرة الثالثة عشر

المبحث السادس: الصهيونية

التعريف بالصهيونية:

صهيونية : نسبة إلى صهيون، وهو جبل يقع جنوب بيت المقدس. وتعني لفظة صهيون عند اليهود أرض الميعاد . فاشتقت الصهيونية من اسم (جبل صهيون) في القدس حيث ابتنى داود قصره بعد انتقاله من حبرون (الخليل) إلى بيت المقدس في القرن الحادي عشر قبل الميلاد بحسب تراثهم التلمودي، وهذا الاسم يرمز إلى مملكة داود وإعادة تشييد هيكل سليمان من جديد بحيث تكون القدس عاصمة لها.و كلمة صهيون كما فسرها اليهود أيضاً لها معان ثلاثة؛ مدينة الملك الأعظم، واسم حصن سماه نبي الله داود، واسم جبل يقع في شرق القدس.

ولهذا سميت الحركة الصهيونية بهذا الاسم نسبة إلى جبل صهيون في القدس، وقامت بين يهود روسيا في أواسط القرن ١٩"حركة أحباء صهيون" أو الصهيونية. إن كلمة "صهيون" في أصلها كلمة كنعانية أطلقت على الجبل الشرقي في مدينة القدس. وقد وردت كلمة "صهيون" في التوراة اثنتين وخمسون ومائة مرة على أنها المدينة المقدسة كما وردت سبع مرات بالمعنى نفسه في العهد الجديد .

أما المفهوم السياسي للصهيونية، فهو أنها : الفلسفة القومية لليهود التي أخذ اليهود تعاليمها من التوراة والتلمود الذي سيطر هو والبروتوكولات على الصهاينة سيطرة كاملة فيسيرون على مخططاتهما، جاعلين مبدأ استهجان الغير مبدأهم الأول فالصهيونية حركة توسعة سياسية عنصرية متطرفة تهدف إلى استعمار فلسطين عن طريق توطين عنصر سكاني غريب عنها ، بل تهدف - بعبارة المسيري – إلى "تهجير بعض أعضاء الجماعات اليهودية إلى فلسطين وتوطينهم فيها وقد كان اختيار الحركة لفلسطين بسبب أهميتها في الاستراتيجية الإمبريالية الغربية، ولإمكانية توظيف التراث الديني اليهودي لجذب اليهود إلى "العودة إلى أرض الأجداد"، وفق التصور التوراتي.

نشأة الصهيونية :

الصهيونية قديمة قدم التوراة نفسها وتعاليم التلمود، وهما اللذان أججا الروح القومية عند اليهود منذ أيامهما الأولى. أما ما قام به اليهودي النمساوي تيودور هرتزل فإنما هي تجديد وتنظيم للصهيونية القديمة ، ولهذا ارتبطت نشأة الحركة الصهيونية الحديثة بشخصية هرتزل الذي يعد الداعية الأول للفكر الصهيوني الحديث والمعاصر، الذي تقوم على آرائه الحركة الصهيونية في العالم. ويرى تيودور هرتزل أن الصهيونية هي العودة إلى الحياة اليهودية قبل أن تكون عودة إلى أرض صهيون. وقد كان أول ظهور لمصطلح الصهيونية سنة ١٨٩٠ على يد الكاتب اليهودي (ناثان برونباوم) ؛ في مقالة له منشورة في مجلة "التحرر الذاتي"، ثم استعاده مرة أخرى في كتاب له بعنوان "الإحياء القومي للشعب اليهودي في وطنه كوسيلة لحل المشكلة اليهودية" سنة ١٨٩٣.

مؤتمر بازل عام ١٨٩٧ ونشأة الحركة الصهيونية:

وفي العام ١٨٩٦ قام الصحفي اليهودي (تيودور هرتزل) بنشر كتاب اسمه (دولة اليهود)؛ وفيه طرح فكرة اللاسامية؛ و كيفية علاجها؛ وهو إقامة وطن قومي لليهود. وفي العام ١٨٩٧ نظم هرتزل أول مؤتمر صهيوني في مدينة (بازل) السويسرية؛ وحضره ٢٠٠ مفوض؛ حيث صاغوا برنامج بازل؛ الذي سيظل هو برنامج الحركة الصهيونية. نجح هرتزل في الترويج لفكرة العودة إلى فلسطين وإقامة وطن لليهود هناك، وتبلور ذلك النجاح في عقد المؤتمر الصهيوني الأول في مدينة بازل بسويسرا عام ١٨٩٧ وكان من أهم نتائجه إقامة "المنظمة الصهيونية العالمية" لتنفيذ البرنامج الصهيوني الذي ينص على أن "هدف الصهيونية هو إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين يضمنه القانون العام" عقد المؤتمر أخيراً في بازل (٢٩-٣١ آب ١٨٩٧)، وحضره ٢٠٤ أعضاء من اليهود، يمثلون ١٥ دولة، وترأس هيرتزل المؤتمر.

وحدد المؤتمر الوسائل الكفيلة لتحقيق هذه الغاية بما يلي:

أ- تعزيز الاستيطان في فلسطين باليهود المزارعين، والحرفيين، والمهنيين، وبناء على قواعد صالحة.

ب- تنظيم اليهود كافة، وتوحيدهم بواسطة إنشاء المؤسسات المحلية والعامة الملائمة، وفقاً للقوانين السارية في كل بلد.

ج- تقوية الشعور اليهودي القومي والضمير القومي.

د- اتخاذ الخطوات التحضيرية للحصول على موافقة الحكومات، التي يجب الحصول عليها، لتحقيق هدف الصهيونية.

وقد أكد هيرتزل نفسه - أن الهدف هو إقامة دولة إسرائيل - هذه الحقيقة في مذكراته بقوله: "لو أردت أن ألخص مؤتمر بازل بكلمة واحدة، وهي كلمة سأحرص على ألا أتلفظ بها علناً، لقلت: "في مؤتمر بازل أرسيت أسس الدولة اليهودية". كان مؤتمر بازل انعطافاً أساسياً في تاريخ الحركة الصهيونية، ولكنه - على الرغم من ذلك - مجرد خطوة على طريق طويل، وهكذا توجهت الحركة الصهيونية، بعد ذلك المؤتمر، للعمل على جبهتين بوقت واحد: الجبهة الداخلية بهدف استكمال تنظيماتها وكسب ولاء اليهودية العالمية، والجبهة الخارجية بهدف كسب تأييد حركة الاستعمار الأوروبي العالم. فأنشأت المنظمة الصهيونية العالمية.

٢ - المنظمة الصهيونية العالمية :

أُسِّست المنظمة الصهيونية العالمية عام ١٨٩٧ في المؤتمر الصهيوني الأول. كان اسمها في البداية «المنظمة الصهيونية» وحسب (ولكن الاسم عُدِّل عام ١٩٦٠ ليصبح المنظمة الصهيونية العالمية). وعُرِّفت المنظمة عند تأسيسها بأنها الإطار التنظيمي الذي يضم كل اليهود الذين يقبلون برنامج بازل ويسددون رسم العضوية (الشيقل)، وقد أنيطت بها مهمة تحقيق الأهداف الصهيونية التي جسدها برنامج بازل، وعلى رأسها إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين "يضمنه القانون العام" وهي عبارة تعني في واقع الأمر: "تضمنه القوى الاستعمارية في الغرب". وكانت المنظمة بمنزلة هيئة رسمية تمثل الحركة الصهيونية في مفاوضاتها مع الدول الاستعمارية الرئيسية آنذاك من أجل استمالة إحداها لتبنِّي المشروع الصهيوني، وكانت إطاراً لتنظيم العلاقة بين الصهاينة، أي أن تأسيسها كان بداية انتقال النشاط الصهيوني من مرحلة البداية الجنينية التسللية إلى مرحلة العمل المنظم على الصعيد الغربي. ولتنفيذ مخططها الاستيطاني والتوطيني عملت المنظمة على إنشاء عدد من المؤسسات المالية لتمويل المشروع الصهيوني، كان من أهمها صندوق الائتمان اليهودي للاستعمار، وهو بنك صهيوني تم تأسيسه عام ١٨٩٩. وفي عام ١٩٠٣، أنشأ الصندوق فرعاً مصرفياً برأسمال قدره ٤٠ ألف جنيه إسترليني، كما أنشأ فروعاً أخرى في هولندا وفرنسا (وقد عُرف فيما بعد باسم «البنك البريطاني الفلسطيني» ثم عُرف بعد ذلك باسم «بنك ليئوميلي سرائيل» منذ عام ١٩٥١). وفي عام ١٩٠١، أسَّست المنظمة الصندوق القومي اليهودي (كيرين كايميت) بهدف توفير الأموال اللازمة لشراء الأراضي في فلسطين ونص القانون الأساسي لهذا الصندوق على اعتبار الأراضي التي يشتريها ملكية أبدية للشعب اليهودي لا يجوز بيعها أو التفريط فيها. كما حصلت المنظمة على امتياز مجلة دي فيلتلتكون لسان حال المنظمة .

وقد نمت المنظمة الصهيونية خلال سنواتها الأولى. فمع انعقاد المؤتمر الصهيوني السادس عام ١٩٠٣، بلغ عدد الأعضاء المشاركين فيه ٦٠٠ عضو، وازداد عدد الجمعيات الصهيونية إلى ١٥٧٢ جمعية موزعة على بلاد مختلفة. وقد وصل الأعضاء عشية الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩) إلى مليون عضو. وفي عام ١٩٤٦، كان عدد دافعي الشيقل ٢.١٥٩.٨٤٠. وقد انتقل مركز المنظمة من عاصمة إلى أخرى. فبعد وفاة هرتزل، انتقل مكان وجود رئيس المنظمة من فيينا إلى كولونيا، وهو مقر ديفيد ولفسون في الفترة (١٩٠٥-١٩١١)، ثم إلى برلين في ظل رئاسة أوتو واربورج (١٩١١- ١٩٢٠). وبعد صدور وعد بلفور، انتقل مركز المنظمة إلى لندن: مركز الثقل الإمبريالي في العالم (وكان ذلك يعني الارتباط بالإمبريالية البريطانية وتوقيع العقد الصامت مع الحضارة الغربية). وظل مركز المنظمة في لندن إبان رئاسة حاييم وايزمان (١٩٢٠- ١٩٣١) ثم ناحوم سوكولوف (١٩٣١-١٩٣٥) في عام ١٩٣٦، وبعد استقرار المؤسسات الاستيطانية في فلسطين التي وُضعت تحت حكم الانتداب عام ١٩٢١، انتقلت المنظمة إلى القدس وإن ظلت لندن مقر رئيس المنظمة وبعض أعضاء اللجنة التنفيذية. عملت المنظمة الصهيونية العالمية بجد منذ صدر قرار تأسيسها في المؤتمر الصهيوني الأول عام ١٨٩٧ على إقامة وطن لليهود، وهو ما تحقق على أرض فلسطين عام ١٩٤٨.

٣. دولة إسرائيل الصهيونية ومسؤولية الغرب التاريخية

لقد خططت بريطانيا لتجميع اليهود في فلسطين تحت الحماية البريطانية. وقد صرح بذلك توماس كلارك في كتابه "الهند وفلسطين" عام ١٨٦١ م فقال: "إن بعث الأمة اليهودية سوف ينعش بني إسرائيل ويعود علينا بأفضل المنافع قاطبة. ومن المؤكد أن احتلال اليهود لفلسطين تحت حماية بريطانيا يجب أن يكون بمثابة الضرورة القصوى على الإطلاق".

وبموجب قرار اتخذته عصبة الأمم تمّ فرض "الانتداب البريطاني" على فلسطين سنة ١٩٢٢م، وقسمت بموجبه أرض فلسطين، وعومل الغرباء اليهود بحفاوة واهتمام خاص وهم الذين لم يتجاوز تعدادهم الـ"٧%" حسب إحصائيات الأمم المتحدة، فقسم القرار غير العادل فلسطين بالتساوي بين اليهود والسكان الأصليين بعدما شكل وعد بلفور سنة ١٩١٧، الركيزة الأساسية في تنفيذ المشروع الصهيوني، حيث أشار الوعد إلى أن الحكومة البريطانية "تنظر بعين العطف إلى تأسيس وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين"، وأنها "ستبذل غاية جهدها لتحقيق هذه الغاية".

ووافق الكونغرس الأمريكي في نفس السنة على قرار الانتداب تحت يافطة "ضرورة إنشاء وطن قومي لليهود"، واستمر في دعم إيجاد وإمداد الكيان اليهودي إلى اليوم سرا وعلانية. وأورد صاحب كتاب "ثمن إسرائيل، كتاب أسرار المؤامرات الصهيونية في أروقة الأمم المتحدة « أنه في سنة ١٩٤٥، اتخذ الكونغرس قرارا آخر بالموافقة على فتح أبواب فلسطين أمام اليهود والسماح لهم باستغلال أقصى إمكانات البلاد الزراعية والاقتصادية «ليتمكنوا من المباشرة بحرية مطلقة في إعداد فلسطين لكي تصبح "وطنا قوميا لليهود"، وقد جاء قرار الكونغرس هذا أكثر شمولا من التعهد الوارد في وعد بلفور وصك الانتداب الذي أقرته عصبة الأمم. وتحقق المشروع الصهيوني سنة ١٩٤٧ عندما اتخذت الأمم المتحدة قرارها رقم 181الداعي إلى إنشاء دولتين في فلسطين، الواحدة يهودية والثانية عربية. وأما على أرض الواقع فنجح اليهود في الإعلان عن "دولتهم" اليهودية يوم ١٤ مايو ١٩٤٨، وأخذت مختلف الدول المؤيدة لها بالاعتراف بها ومساندتها. أما الفلسطينيين فلا بواكي لهم .

ولهذا فالصهيونية مشروع وُلد وترعرع في كنف الاستعمار، وقد طرح تيودور هرتزل، زعيم الصهيونية ومنظم المؤتمر الصهيوني الأول، فكرة الاستعانة بإحدى الدول الكبرى كجزء لا يتجزأ من المشروع، مع إمكانية دراسة أي الدول أصلح للقيام بهذا الدور، وكذلك إمكانية استخدام تكتيك اللعب على الحبلين. وقد قامت بريطانيا بهذا الدور، ثم ملأته الولايات المتحدة بعد ذلك.

أهم الأسس التي قامت عليها الصهيونية :

تحاول الصهيونية أن تدعم وجودها وكيانها على عدة دعائم، وتبني على هذه الركائز وجودها، ومن أهم هذه الركائز:

أولاً : الاستيطان في فلسطين (امتلاك فلسطين):

والصهيونية العالمية تؤكد هذا مرارًا وتكرارًا، بل هي الركيزة الأولى التي بنت عليها الصهيونية قيامها، وهي لا تدعي امتلاك فلسطين فحسب، بل فلسطين وما جاورها من البلدان، وهذا ما توضحه كلمتهم السافرة إسرائيل من النيل إلى الفرات. وهذا ما أكدته في مؤتمرها الأول بزعامة هرتزل: (إن هدف الصهيونية هو إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين).

ثانيًا : فكرة المسيح المنتظر:

تعد فكرة المسيح المنتظر إحدى أهم الركائز والمقومات التي تقوم عليها دولة بني صهيون، ومن ثم فإنهم يعملون على قيام دولتهم تمهيدًا لظهور المسيح المنتظر، فقيام الدولة مقدم على ظهوره، وشرط له، ومن ثم فإنهم يعملون على ذلك العمل الخبيث، وقد استطاعوا أن يخدعوا النصارى في ذلك وأوهموهم أن كلاً منهما ينتظر المسيح وقيام دولتهم شروط لظهور مسيحهيما، فعملوا جميعًا جاهدين على ذلك. غير أن دارسي الدين اليهودي يؤكدون أن الارتباط اليهودي بالعودة إلى الأرض المقدسة هو ارتباط توراتي مشروط، إذ أن الدين اليهودي يحرم العودة إلى أرض الميعاد. بمعنى أن الهجرة اليهودية من الشتات إلى فلسطين كانت محظورة بأمر ديني، حيث كانت العودة مرتبطة بظهور شخصية المسيح المخلِّص الذي سيأتي في آخرة الأيام، وبالرغم من الصلوات المشار إليها، إلا أنها لم ترتبط بأي مجهود فعلي للهجرة، ولم تكن المحاولات الفردية للهجرة، تلقى أي قدر من الاستحسان لدى اليهود، كما أن مفاهيم الحرية السياسية والاستقلال والسيادة...لم يكن تخطر لهم على بال .

ثالثًا : السيطرة المطلقة على العالم كله:

لقد دفعتهم تعاليمهم المزيفة التي غصت بها توراتهم المحرفة، إلى السعي الدائم والعمل الحثيث للسيطرة على العالم كله، وتسخيره لخدمة بني صهيون "شعب الله المختار!! " ولم يكن هذا الأمر ـ السيطرة على العالم ـ يغيب عن أذهانهم، حتى في فترات الاضطهاد، بل كان ذلك دافعًا لهم للعمل على سيطرة العالم، لأنهم يرون أن هذا حق لهم، أمرتهم به توراتهم، وأكد عليه تلمودهم.
إن بروتوكولات حكماء صهيون تنص على أن الوصول إلى وطن قومي لليهود هو بداية العمل على السيطرة على العالم بأسره، وما العولمة السياسية تحت شعار (النظام العالمي الجديد)، والعولمة التجارية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية بشقها السلبي إلا خير شاهد على حياة هذا المعنى في نفوس الصهاينة اليوم؛ فتجدهم يسلكون كل السبل التي تخطر على بالك والتي لا تخطر لتحقيق أهدافهم.

ولعل من أبرز جهودهم في تحقيق هذا الهدف:

١. العمل على تحريف الأديان السماوية.
٢. إغراق أتباعها في الشبهات والشهوات وخاصة المسلمين.
٣. سعيهم في تمزيق وحدة الأمة الإسلامية ببعث الروح القومية في شعوبها
٤. تبني الفرق الباطنية وتهيئة الظروف المناسبة لبروزها في حياة المسلمين لتمزيقهم إلى طوائف متناحرة.
٥. استغلال قوتهم الإعلامية في فرض وجودهم بين الشعوب تحت شعار(التسامح، المساوة، الإخاء) .
٦. هدم المجتمعات من خلال زعزعة كيان الأسرة.
٧. تطبيع العلاقات ليضمنوا زوال كل المعوقات لأهدافهم..
٨. زرع المنظمات والجمعيات السرية في المجتمعات..
٩. التدخل في المناهج التعليمية في الدول ومحاولة تغييرها..
١٠. إثارة القلاقل والاضطرابات الداخلية في الدول الإسلامية بتشجيع التغريب والفكر التغريبي والتيارات الفكرية والسياسية التي تحقق الصراع في المجتمع وتبعده عن قيمه ومبادئه الإسلامية اعتقادا وفكرا وممارسة.
١١. إرهاب كل من يعترض طريق مخططاتهم حتى ولو أدى ذلك إلى التصفية الجسدية، أو انتهاك سيادة الدول الإسلامية وقصف أهداف محددة داخلها بحجة المحافظة على كيان الدولة الصهيونية وحماية أمنها القومي.

أبرز الشخصيات التي أسهمت في التأسيس للصهيونية

الحاخام تسفي هيرش كاليشر (١٧٩٥-١٨٧٤): نشر أفكاره سنة في كتاب ١٨٦٢ بعنوان "البحث عن صهيون" وهو أكثر كتبه شهرة والذي يدعو فيه لعقد مؤتمر عام لوجهاء اليهود، بهدف تأسيس "جمعية لاستيطان أرض إسرائيل"، تكون مهمتها الرئيسية تمويل عملية استيطان اليهود في فلسطين وإقامة كيان لهم فيها. وقد وضح في كتاباته ثلاث نقاط رئيسة، هي: (خلاص اليهود كما تنبأ الأنبياء به، ويمكن أن يتم بوسائل طبيعية، أي بمجهود اليهود أنفسهم، من دون أن يتطلب ذلك مجيء المسيح - الاستيطان في فلسطين يجب أن يتم بدون تأخير- إحياء التضحيات في الأرض المقدسة مباح وضرورة) .

موشيه ليلنبولم (١٨٤٣ - ١٩١٠): دعا موشه إلى استغلال الضغوط، التي يتعرض لها اليهود في روسيا لتوجيه المهاجرين منهم إلى فلسطين بالذات ليقيموا مستوطناتهم هناك كبداية لإقامة دولة يهودية في البلد. نشر مقالاته في كتاب بعنوان "حول بعث اليهود على ارض بلاد أبائهم". انضم ليلنبلوم إلى حركة هواة صهيون، فانتخب فيما بعد لعضوية لجنتها التنفيذية، وساهم في العمل من اجل دعم المستوطنات التي أقامتها الحركة في فلسطين. وفي مرحلة لاحقة، انضم إلى الحركة الصهيونية، ودخل في نزاع مع هرتسل حول مفهوم للصهيونية، داعيا إلى دمج التيارين السياسي والعملي، اللذين سيطرا على الصهيونية.

يهودا ليف بينسكر (١٨٢١ - ١٨٩١): ألف كتاب "التحرير الذاتي" وضح فيه أنه لا يمكن لليهود أن يتأقلموا في دولة حاضنه، لذا يتوجب عليهم إنشاء موطن يمكنهم العيش فيه، وعارض بشدة فكرة أن يهود الغرب الذين عاشوا تلك الفترة، أن يعذبوا بصمت وأن ينتظروا مجيء المشيح. وكان بينسكر من أعضاء المؤتمر الذين أسسوا "حيفات تسيون"، والتي حافظت على الاتصال مع بقية الحركات الأخرى، وعقد المؤتمر الذي رأسه بينسكر ووضح فيه على أهمية وضرورية إيجاد أرض لتجمع جميع اليهود، ولكنه لم يطرح فكرة الاستيطان وفكرة استقلال الشعب اليهودي خوفا من تراجع اليهود الغربيين.

موشيه هس (١٨١٢ - ١٨٧٥): له كتاب "روما والقدس" صدر سنة ١٨٦٢، وهو كتابه الذي اشتهر به وأودعه آراءه الصهيونية وإن يكن عنوانه لا ينبئ كثيراً بمضمونه، فقد طالب بتأسيس مستعمرات يهودية "تمتد من السويس إلى القدس، ومن ضفتي نهر الأردن إلى ساحل البحر المتوسط"، وتكون تمهيداً للدولة اليهودية، وككل المفكرين الصهيونيين اتصف فكر هس بالنزعة الاستعلائية العنصرية والاستعمارية الصارخة، مدعياً بأن اليهود المعاصرين قد اختيروا ليكونوا "مجرى حياً للمواصلات بين القارات الثلاث" واتصفت نظرته إلى المسيحية والإسلام بالتعصب، وبإنكار ما تحملان من قيم إنسانية. كما نظر إلى الشعب العربي (وشعوب العالم الأفرو ـ آسيوي) نظرة استعمارية فريدة، فاعتبره مجموعة قبائل متوحشة.

ويلاحظ وجود أوجه شبه عديدة في الآراء والمعتقدات التي يوردها هس في "روما والقدس" وبين ما أورده هرتسل في كتابه "دولة اليهود" الذي نشر بعد ٣٤ سنة من نشر كتاب هس، وكانت آراء هس كامنة في حالة ركود، خلال ما يقارب من عشرين سنة، إلى أن قدر لها أن تبعث ثانية، وتجد من يتبناها ويضيف عليها ويطورها مع بداية الهجرة اليهودية من روسيا، في مطلع الثمانينات من القرن التاسع عشر.

تيودور هرتزل (١٨٦٠- ١٩٠٤): أسس الحركة الصهيونية. وفي سنة ١٨٩٧ أقام المؤتمر الصهيوني الأول في بازل، وقد كان هذا الاجتماع الصهيوني الأول في كل المهاجر. وقد خطب هرتسل الخطبة الافتتاحية. في هذا المؤتمر وضعت الأسس لإقامة المنظمة الصهيونية العالمية. وحددت "خطة بازل" والتي بها حُدِدَت أهداف الصهيونية.

البارون روتشيلد (١٨٤٥-١٩٣٥): وهو الملقب ب"المتبرع المعروف"، ويعتبر أبا الاستيطان اليهودي في فلسطين، منذ ثمانينيات القرن التاسع عشر الميلادي.

حاييم وايزمن (١٨٤٧ – ١٩٥٢): كلف المؤتمر الصهيوني الثاني حاييم وايزمان بتشكيل الوفد الروسي لحضور المؤتمر، وفي سنة ١٩٠١ كلفه بحمل اليهود على شراء أسهم البنك اليهودي الدولي وبنك الاستعمار اليهودي، وبزغ نجمه داخل المؤتمر، واختير عضواً في الحركة الصهيونية.
رفض وايزمان فكرة اختيار أوغندا مكاناً بديلاً لليهود ينشئون عليه دولتهم بعيداً عن فلسطين، ولعب الدور الأهم في استصدار وعد بلفور سنة ١٩١٧. وانتخبه المؤتمر الصهيوني الذي عقد في لندن سنة ١٩٢٠ رئيساً للمنظمة الصهيونية العالمية، وظل يشغل هذا المنصب حتى سنة ١٩٤٦. وفي سنة ١٩٤٧، اتفق وايزمان ورئيس الولايات المتحدة الأمريكية ترومان على خطة التقسيم التي ستعمل الولايات المتحدة بثقلها على إقرارها في داخل أروقة الأمم المتحدة، واتفق معه على أن صحراء النقب ستكون تابعة لإسرائيل بعد أن أثبتت الأبحاث العلمية وجود المياه الجوفية بها، وعلى أن يكون لإسرائيل منفذ على البحر الأحمر. وصدر قرار التقسيم بالفعل في ١٩٤٧/١١/٢٩ .

زئيف فلاديمير جابوتنسكي (١٨٨٠-١٩٤٠): عمل على المشاركة في تأسيس الصندوق القومي اليهودي والفيلق اليهودي. وفي عام ١٩٢١ أصبح عضواً في اللجنة التنفيذية للمنظمة الصهيونية العالمية، واستقال في عام ١٩٢٣ وأسس حركة بيتار. في عام ١٩٢٥ أسس في باريس "اتحاد الصهيونيين الإصلاحيين . " واشتهر بميوله العنصرية والتطرف، وهو صاحب نظرية "الجدار الحديدي " التي تقوم على تكبيد الخصوم خسائر كبيرة تؤدي لتحويلهم من خصوم متطرفين عنيدين إلى معتدلين على استعداد للمساومة. دعا إلى رفض الاكتفاء بإقامة (إسرائيل) على أرض فلسطين وحدها بل مدها إلى الأردن وصحراء سوريا، وأيد المجازر التي قامت بها منظمة (الأتسل) ضد العرب.

دافيد بن جوريون (١٨٨٦-١٩٧٣): كان رئيس الحكومة ووزير الدفاع الأول للدولة الصهيونية (إسرائيل)، ومن الزعماء البارزين للحركة الصهيونية، وزعيم الاستيطان اليهودي. أعلن عن إقامة دولة إسرائيل في الخامس من أيار العبري عام ١٩٤٨ يُعتبر المنظم والمؤسس للدولة الصهيونية، وهو الذي أسس القوه الأمنية والاقتصادية لها وهو الذي صاغ كيانها في سنواتها الأولى.

مناحيم بيجين (١٩١٣-١٩٩٢): مؤسس حزب الليكود ورئيس حكومة إسرائيل. وهو من أوقع مصر في معاهدة كامب ديفيد عام ١٩٧٨م. وغير هؤلاء كثير من روادها سواء من اليهود أو الإنجيليين الجدد أو النصارى وغيرهم، بل وحتى من المتصهينين من ابناء جلدتنا ممن تربى على أيدي اليهود بطريقة أو أخرى، وصاروا من دعاة تحقيق المطامح الصهيونية بعلم أو بغير علم.

الأثر في الواقع المعاصر وأنشطة الصهيونية المختلفة

يمكن القول إن ثمة موضوعات أساسية في الدعاية الصهيونية والنشاط الصهيوني نوجزها فيما يلي :

١. المحافظة على العنصر اليهودي، وعلى العادات والتقاليد والطقوس الخاصة بهم التي تتمثل في تثبيت فكرة العودة في نفوسهم، وزرع الأحلام وتقوية الشعور بأنهم شعب الله المختار، وأن حكم العالم سيصير إليهم.

٢. إنشاء الجمعيات السرية والعلنية والمنظمات، تحت ستار من الأهداف العامة التي تحمل سمات إنسانية واجتماعية، ومن أشهر هذه الجمعيات :الجمعيات الماسونية ونوادي الروتاري والليونيز وشهود يهوه وبناة الهيكل وغيرهم .
٣. التأثير على العالم، وخاصة الدول الكبرى، اقتصاديًا وسياسيًا .
٤. التأكيد على أن الجماعات اليهودية هي في واقع الأمر أمة يهودية واحدة لابد من جمع شمل أعضائها لتأسيس دولة يهودية في فلسطين، مع التزام الصمت الكامل حيال العرب لتغييبهم، أو محاولة تشويه صورتهم إن كان ثمة ضرورة لذكرهم.
٥. من الموضوعات الأساسية التي تطرحها الدعاية الصهيونية قضية البقاء، فالدولة الصهيونية ليست دولة معتدية وإنما هي تحاول الحفاظ على بقائها وأمنها فحسب، وتختلف طبيعة هذا البقاء من حقبة لأخرى وحسب موازين القوى.
٦. تركز الدعاية الصهيونية على الحقوق التاريخية المطلقة للمستوطنين الصهاينة، مع الإغفال المتعمد لحقوق السكان العرب أصحاب الأرض الأصليين.
٧. طورت الدعاية الصهيونية رؤية مزدوجة للمستوطن الصهيوني .فبقاؤه مهدد دائماً من قِبَل العرب، ولكنه في الوقت ذاته قوي للغاية إلى درجة أنه لا يمكن أن يهدده أحد، فهو قادر على البقاء وعلى سحق أعدائه وضربهم في عقر دارهم.
٨. تؤكد الدعاية الصهيونية على أن(إسرائيل) واحة للديمقراطية الغربية في وسط عالم عربي متقلب.
٩. تدخل الدعاية الصهيونية الموجهة للعرب في إطار الحرب النفسية، والتي تهدف إلى تحطيم معنويات العرب، بل تحطيم الشخصية العربية، وغرس مفاهيم مثل جيش الدفاع الإسرائيلي الذي لا يقهر والسلام العبري.
١٠. ركزت الدعاية الصهيونية على قضية العداء الأزلي لليهود وعلى الإبادة النازية لليهود والستة ملايين يهودي، وهي تهدف من هذا إلى ابتزاز العالم الغربي وتبرير عملية اقتلاع الفلسطينيين من بلادهم كما أن هذه القضية تقوي التضامن اليهودي في الوقت نفسه .
١١.ركزت الدعاية الصهيونية في الغرب) وخاصة في مرحلة ما قبل بلفور (على محاولة إعادة إنتاج صورة اليهودي حتى يمكن توظيفه في خدمة المشروع الصهيوني، فيهودي المنفى إنسان لا جذور له، طفيلي، يشعر بالاغتراب ما دام خارج أرض الميعاد، وهو مضطهد بشكل دائم عبر التاريخ ابتداءً من طرد اليهود بعد هدم الهيكل على يد تيتوس إلى إبادتهم بأعداد ضخمة على يد هتلر .وهكذا، أصبح هذا اليهودي الإنسان المثالي العبري القوي المحارب الذي يمكنه أن يدافع عن نفسه وعن مصالح الحضارة الغربية داخل إطار الدولة الصهيونية .وقد خفت حدة الهجوم على شخصية اليهود في المنفى بعد عام1967 ، بعد أن أدرك الصهاينة أن يهود العالم الغربي) الذين يشكلون غالبية يهود العالم (سيبقون في بلادهم ولن يهاجروا إلى فلسطين، وأن وجودهم في العالم الغربي) في الولايات المتحدة بالدرجة الأولى (يشكل أداة ضغط مهمة على صانع القرار الأميركي).
١٢.توجهت الدعاية الصهيونية إلى الجماعات اليهودية مبينةً لها أن وجودها في عالم الأغيار يهددها ويهدد هويتها بالخطر، وركزت الدعاية الصهيونية على دعوة اليهود للخروج من الجيتو والهجرة إلى (إسرائيل) للحفاظ على خصوصيتهم وهويتهم اليهودية .وقد تراجع هذا الموضوع في الآونة الأخيرة ويكاد يختفي للأسباب نفسها التي سبق ذكرها.
١٣.تعتمد الدعاية الصهيونية على شبكة واسعة من الدوريات الصهيونية في أنحاء العالم كافة.

خلاصة:

يتضح مما سبق أن الصهيونية حركة سياسية عنصرية متطرفة ترمي لحكم العالم كله من خلال دولة اليهود في فلسطين، وقد قامت على تحريف تعاليم التوراة والتلمود التي تدعو إلى احتقار المجتمع البشري وتحض على الانتقام من غير اليهود. وقد قنن اليهود مبادئهم الهدامة فيما عرف ببروتوكولات حكماء صهيون التي تحوي بحق أخطر مقررات في تاريخ العالم .

المحاضرة الرابعة عشر

المبحث السابع: الأصولية النصرانية

تعريف الأصولية النصرانية:

تعرف الأصولية النصرانية بأنها: (حركة مسيحية، تبشيرية، متشددة، تدعو إلى العصمة الحرفية للكتاب المقدس عندهم بعهديه القديم والجديد، والعودة الحقيقة للمسيح، وقيام الحكم الألفي) .

إن المنظمات الأصولية النصرانية تؤمن بنظرية تقول بعودة المسيح إلى عالمنا هذا لتخليصه من الشرور، **وذلك حين تكتمل**

جملة شروط:

١- نجاح إسرائيل في احتلال كامل أرض التوراة، أي معظم الشرق الأوسط، وقيام دولتهم .
٢- إعادة بناء هيكل الضيقة العظيمة في موقع قبّة الصخرة والمسجد الأقصى .
٤- اصطفاف الكفرة أجمعين ضدّ إسرائيل، في معركة هرمجدون، حيث سيكون أمام اليهود أحد خيارين: إمّا الاحتراق والفناء، أو الاهتداء إلى المسيحية، الأمر الذي سيمهّد لعودة المسيح المخلّص .

نشأة الأصولية النصرانية:

لقد هيأت الأوضاع الدينية والسياسية والاجتماعية التي سادت أوروبا في العصور الوسطى الأجواء هناك لظهور حركات دينية، رأت في الانشقاق عن الكنيسة الكاثوليكية ضرورة تمليها عليها غيرتها الدينية. وكان من أبرز تلك الحركات، حركة الإصلاح الديني، التي قام بها مارتن لوثر، في القرن السادس عشر الميلادي معلنا ومن معه انشقاقهم عن الكنيسة الكاثوليكية، احتجاجا على ممارسات الباباوات التي أدت إلى ظهور طائفة البروتستانت ، التي جعلت من العهد القديم والعهد الجديد مرجعا لها في أمورها الدينية و الدنيوية، فعظموا النص، وجعلوا له السلطة العليا، إذ أخذوا به على ظاهره دون تأويل، مخالفين بذلك الطوائف النصرانية الأخرى.
وقد أفرزت هذه الحركة (حركة البروتستانت) العديد من الحركات، كانت الأصولية النصرانية من أهمها، وأقواها، وأوسعها انتشارا.
بدأ ظهور الحركة مع وصول المهاجرين البروتستانت الأوائل إلى أمريكا، الذين هاجروا من بريطانيا بعد اضطهاد الملك جيمس الأول لهم وذلك عام١٦٣٠م .
نشطت هذه الحركة في أربعينيات القرن العشرين، وتمثلت في أشخاص مثل: بلى جراهام ،وبل برايت ، ومنظمات مثل: (شباب لمسيح)، و(إرسالية بلى جراهام) و(المعسكر الصليبي المسيحي) . ثم ازداد ظهورها شيئا فشيئا حتى كان الظهور السياسي الحقيقي في بداية السبعينيات من القرن العشرين، بسبب وصول الرئيس جيمي كارتر للرئاسة وهو أحد الأصوليين، وكذلك ظهور الشبكات التلفزيونية التي استغلها الأصوليين في نشر معتقداتهم، ولا يزال الأصوليين الى يومنا هذا يحاولون تحقيق أهدافهم ونشر معتقداتهم من خلال إقامة المؤتمرات، والتسلق إلى المناصب القيادية في الدول، واستغلال وسائل الإعلام ووسائل التواصل الاجتماعي. وتجدر الإشارة إلى أنه لم يتم استخدام مصطلح الأصولية النصرانية كمصطلح ديني يشير إلى مذهب العصمة الحرفية إلا في القرن لعشرين، وقد يستعمل مصطلح (الأصولية الإنجيلية) مكانه، نظرا لمركزية النص الإنجيلي في مذهبهم .

الأصول الاعتقادية لطائفة البروتستانت الأم الشرعية للأصولية النصرانية :

ترجع الأصولية النصرانية في أفكارها ومعتقداتها إلى فكر وعقائد طرحتها حركة الإصلاح الديني التي أدت إلى ظهور طائفة البروتستانت كما ألمحنا سابقا، ومن أهم ما يتميز به أتباع هذا الطائفة من معتقدات :

١- أن لكل مسيحي الحق في فهم الإنجيل وقراءته بنفسه، بعد الحصول على القواعد الأساسية لمعرفة الكتاب المقدس، و أن ذلك ليس وقفا على الكنيسة .
٢- أن الكتاب المقدس عندهم بعهديه القديم و الجديد هو المصدر الوحيد للنصرانية.
٣- منع الرهبنة.
٤- أن صكوك الغفران دجل وكذب وأن الخطايا والذنوب لا تُغفر إلا بالندم والتوبة.

وكما يلاحظ على هذه المعتقدات التي تبنتها طائفة البروتستانت أنها ثورة ضد كل ما تؤمن به الكنيسة الكاثوليكية، وإن كانت لا تختلف عنها في عقيدة التثليث، و ألوهية المسيح وبنوته، و صلبه تكفيرا عن خطيئة البشر.

أبرز عقائد الأصولية النصرانية :

١- العصمة الحرفية للكتاب المقدس:

وهذا أصل اعتقادها، و أبرز ما خالفت به معتقدات الفرق النصرانية الأخرى، بل إن كل المعتقدات الأخرى للأصوليين نابعة منه راجعة إليه، حيث يعتقدون أن الكتاب المقدس عندهم بعهديه القديم و الجديد هو : كلمة الله المعصومة من كل عيب ونقص، التي لا ينالها النقد، وهي المصدر السامي، الذي تستمد منه كل مجالات الحياة، كما يجب أن يكون التفسير لنصوص الكتاب المقدسة حرفياً، مع رفض كل نوع من أنواع التأويل.

نقد هذا المعتقد من منظور الإسلام :

إن ادعاء الأصوليين بعصمة الكتاب المقدس وأنه كامل لا خطأ فيه ولا يعتريه نقص، فهذه دعوى بينة البطلان. وذلك لما يلي :

١- إن كتابهم قد تعرض للتحريف والتبديل بأيديهم و الله ﷻ قد بين في كتابه الكريم ذلك فقال : { فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ } [البقرة:٧٩].

٢- إن ادعاءهم هذا يستلزم منهم التفسير الحرفي كما نص عليه اعتقادهم بدون تأويل ولا تفسير وهم قد ناقضوا قولهم هذا في بعض التفسيرات والتأويلات تمشيا مع أهوائهم وأهدافهم فمثلا : فسروا (يأجوج و مأجوج) الواردة في الكتاب المقدس بأنها (روسيا) وأن الله سوف يدمرهم في معركة هرمجدون، وبعد سقوط الشيوعية فسروها بـ (الشيشان وكسوفا والبلاد الإسلامية في هذه المنطقة) ،ثم تغير هذا التفسير بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر إلى (أفغانستان)، وغير ذلك الكثير مما يدل على تناقضهم مع أصل معتقدهم.

٢- ضرورة رجوع اليهود إلى فلسطين وأحقيتهم فيها، وقيام دولتهم:

يعتقد الأصوليون الإنجيليون باستحقاق اليهود أرض فلسطين، وأن الله قد وعد بها ابراهيم عليه السلام ونسله من بعده، واليهود بزعمهم هم نسله الموعودون بها، فلا بد من رجوعهم لهذه الأرض . وهذا المبدأ كان نتيجة لتمسكهم بالتفسير الحرفي للنصوص الواردة في الكتاب المقدس عندهم، ولذلك فكل وعد ورد فيه لنسل ابراهيم عليه السلام يخصونه بفرع إسحاق فقط وهم اليهود وبالتالي لا بد من الإيمان به ومن ثم العمل على تحقيقه، ومن ذلك : ما ورد في سفر التكوين الإصحاح١٢: (وَقَالَ الرَّبُّ لأَبْرَامَ: اذْهَبْ مِنْ أَرْضِكَ وَمِنْ عَشِيرَتِكَ وَمِنْ بَيْتِ أَبِيكَ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي أُرِيكَ.أَجْعَلْكَ أُمَّةً عَظِيمَةً وَأُبَارِكَكَ وَأُعَظِّمَ اسْمَكَ، وَتَكُونَ بَرَكَةً. وَأُبَارِكُ مُبَارِكِيكَ، وَلاَعِنَكَ أَلْعَنُهُ. وَتَتَبَارَكُ فِيكَ جَمِيعُ قَبَائِلِ الأَرْضِ).

فنقد هذا المعتقد من منظور الإسلام :

أن ادعاء الأصوليين باستحقاق اليهود أرض فلسطين على اعتبار أنهم من نسل إسحاق ابن إبراهيم عليه السلام ، دعوى باطلة، من عدة وجوه :

١- إن كان المقصود بنسل إبراهيم ' أبنائه من صلبه، فأبناءه هما إسماعيل وإسحاق، فأين ذهب إسماعيل وهو الابن الأكبر والبكر؟ وحسب تعاليم الكتاب المقدس عندكم أن البركة والهبة يرثها الابن البكر، بل إن إسماعيل ' قد ورد ذكره في التوراة في أكثر من ١٢ موضعا فلماذا تسلبونه حقه فيها .

٢- وإن كان المقصود بالنسل من اتبع ملته وهداه من نسله، فإن اليهود قد عصوا الله وحقت عليهم كلمة العذاب فشتتهم الله ومنعهم منها قال تعالى : {وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ } [الأعراف:١٦٧]، كما أنه ´ قال : { إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ } [آل عمران:٦٨]، والمقصود بالنبي :محمد r وهو من نسل إسماعيل ' .

٣- أن التوراة أو الشريعة التي جاء بها موسى ' و تعنى الديانة اليهودية، قد نزلت في جبل الطور في سيناء، و قد خلت عن كل حديث عن أورشليم (القدس) تصريحا أو تلميحا.

٣- بناء الهيكل وهدم المسجد الأقصى :

الهيكل: " كلمة سومرية معناها (البيت الكبير)، والهيكل : هو مكان عبادة الله حسب زعم اليهود، وهو يقوم مكان الكنيسة حاليا . والهياكل التي ورد ذكرها في الكتاب المقدس حسب معتقد الأصوليين:(هيكل سليمان - هيكل زروبابل - هيكل هيرودوس الكبير- هيكل الضيقة العظيمة - هيكل الملك الألفي). وهيكل الضيقة العظيمة، هو الذي يريد الأصوليون بناءه مكان المسجد الأقصى للتعجيل من مجيء المسيح ثانية إلى الأرض. يقول أحد الأصوليين ويُدعى (أون) عندما كان في رحلة إلى القدس، وهو ينظر إلى قبة الصخرة : "إن النبوءة الإنجيلية تقضي بأن على اليهود تدمير هذا الصرح وبناء هيكل يهودي مكانه " .

نقد هذا المعتقد من منظور الإسلام

إن ادعاء الأصوليين بضرورة هدم المسجد الأقصى وبناء الهيكل (هيكل الضيقة العظيمة)،وربطهم بين قيامهم بذلك والمجئ الثاني للمسيح ، باطل من عدة أمور:

١- إن اليهود أساسا ليس لهم حق في امتلاك أرض فلسطين فضلا عن أن يهدموا الأقصى أو يعيدوا بناء الهيكل.

٢- إن ما يستدلون به من أن خرابه علامة على مجيء المسيح، أمر باطل ،وذلك لأن المسجد الأقصى تعرض للتخريب والهدم أكثر من مرة، وبالرغم من ذلك لم تتحقق نبوءاتهم .

٤-المجيء الثاني للمسيح ' وقيام الحكم الألفي:

وهذا المبدأ يعتبر المحور الذي تدور عليه عقيدة الأصوليين الإنجيليين وما ذكرنا سابقا من ضرورة إقامة دوله لليهود وبناء الهيكل، إنما هي علامات وممهدات لهذا المجيء .

وأن هذا المجيء سيكون على مرحلتين :

الأولى: مرحلة الاختطاف، وهي المجيء الأول : فيعتقدون أن المسيح ﷺ سيقوم باختطاف المؤمنين الأحياء على الأرض، ويذهب بهم إلى السماء لمدة سبع سنوات وهذه السنوات سوف تكون شدة على أهل الأرض.

الثانية: مرحلة الظهور، وهي المجيء الثاني : وهذه المرحلة تلي الأولى ويكون فيها المسيح ظاهراً وسيراه الجميع، و أن ظهوره سيكون في جبل الزيتون، لأن صعوده كان من جبل الزيتون وفيها سيخلِّص المسيح إسرائيل ويدين الوحش والنبي الكذاب' ويدين الأمم في معركة هرمجدون ، ويقيم ملكه الألفي في أورشليم بعد انتصاره في معركة هرمجدون.

نقد هذا المعتقد من منظور الإسلام :

إن عقيدة نزول المسيح ﷺ قبل يوم القيامة من عقائد أهل السنة والجماعة، فإننا نؤمن بأن : الله حفظه و رفعه إليه بعد أن تآمر اليهود على قتله، ثم إنه سينزل أخر الزمان فيقتل المسيح الدجال، ويكسر الصليب، ويحكم بالقرآن، ثم يتوفاه الله إليه وتقوم الساعة . قال تعالى: {وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا } [النساء:١٥٧-١٥٩] وقال r : **((وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزِلَ فِيكُمُ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا مُقْسِطًا، فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلَ الْخِنْزِيرَ، وَيَضَعَ الْجِزْيَةَ وَيَفِيضَ الْمَالُ حَتَّى لاَ يَقْبَلَهُ أَحَدٌ))** . وإن مكان نزوله عند المنارة البيضاء شرقي دمشق، وليس كما يدعي الأصوليون من أن نزوله عند شجرة الزيتون . فما سبق من الأدلة وغيرها مما تواتر من القران والسنة، يدل دلالة قطعية، على نزول عيسى ﷺ آخر الزمان وانه سيحكم بالقران ويدين بالإسلام، وليس كما يعتقد هؤلاء معتمدين في اعتقادهم على نصوص الكتاب المقدس عندهم والتي ثبت تحريفها.

علاقة النصارى باليهود قبل ظهور الأصولية النصرانية وواقع العلاقة اليوم :

إن من ينظر في تاريخ العلاقة بين النصرانية واليهودية، لا يخفى عليه العداء الشديد المتبادل بينهما، فالنصارى ينظرون الى اليهود على أنهم قتلة المسيح (عيسى ﷺ) حسب عقيدتهم الباطلة، بل إن اليهود هم أشد من تعرض لتلاميذ المسيح الأوائل اضطهادا تعذيبا، فنشأ عداءهم لهم منذ ذلك الوقت. ومما سجل التاريخ على النصارى و يدلنا على هذه العلاقة ، ما قاله لويس التاسع عشر:" أفضل حجة مع اليهودي أن تغرز خنجرك في معدته". وقد استمرت هذه العلاقة العدائية حتى ظهور ما يسمى بـــ (حركة الإصلاح الديني) في القرن السادس عشر ميلادي وظهور طائفة البروتستانت، فقد دعا صاحب هذه الحركة مارتن لوثر إلى إجلال وتعظيم النصارى وكان مما قال في كتابه "المسيح ولد يهودياً ":" شاءت الروح المقدسة أن تنزل كل أسفار الكتاب المقدس للعالم عن طريقهم وحدهم (أي اليهود). إنهم الأطفال ونحن الضيوف والغرباء. وعلينا أن نرضى بأن نكون كالكلاب التي تأكل ما يتساقط من فتات مائدة أسيادها «. وليس هذا فحسب بل دعاهم إلى ضرورة إعادة اليهود إلى أرض فلسطين، لأن عودتهم فيها تحقيق للنبوءات الواردة في الكتاب المقدس ،وكان ذلك نتيجة لدعوته إلى العصمة الحرفية للكتاب المقدس ،مما أدى بهم إلى الرجوع لنصوص العهد القديم وأخذهم بها، وهكذا بدأ تعظيم النصارى لليهود وتعاطفهم معهم.

إن علاقة هذه الطائفة النصرانية بالصهيونية اليهودية اليوم باتت علاقة وثيقة، فالنصرانية تتبنى أفكار الصهيونية وتحاول تحقيق أهدافها وتربط قيمها ومعتقداتها بأهداف تلك الصهيونية ،وللتوضيح أكثر سأجمل ذكر الأهداف والعقائد المشتركة بينهما حتى تتبين هذه العلاقة :

١- اعتقادهم أن اليهود هم شعب الله المختار، وأنهم من جنس يتميز عن سائر أجناس البشر، فهم من نسل إبراهيم ’، وأداة إصلاح العالم ، وهم في اعتقادهم هذا يعتمدون على بعض النصوص الواردة في الكتاب المقدس عندهم منها، ما ورد في سفر الخروج (٤:٢٢) : (فتقول لفرعون :هكذا يقول الرب:إسرائيل ابني البكر) .

٢- اجتماع اليهود في فلسطين و إقامة دولة لهم، وأن كل من يقف في وجه عودة اليهود على فلسطين عند الأصوليين يعتبر من أعداء الإله، ويقف ضد الخلاص المسيحي، لأن مجئ المسيح مرتبط بعودة اليهود إلى فلسطين.

٣- إزالة المسجد الأقصى وبناء معبد يهودي مكانه، وقد بدأ الصهاينة بمعونة الأصوليين المادية والمعنوية العمل على تنفيذ هذا المشروع عن طريق تنظيم الجماعات، والتنظيمات الساعية للهدم، وعددها ١٢٠جماعة .

الخلاصة:

١. تُعرَّف الأصولية النصرانية بأنها حركة مسيحية تنصيرية، متشددة، تدعو إلى العصمة الحرفية للكتاب المقدس، والعودة الحقيقية للمسيح.
٢. ترتبط الحركة الأصولية النصرانية بالطائفة البروتستانتية نشأة وتاريخاً وحاضراً .
٣. لليهود دور كبير في نشوء البروتستانت، وامتد هذا الدور بل وتعاظم في الحركة الأصولية النصرانية. انتقلت الأصولية النصرانية إلى أمريكا مع وفود البروتستانت إليها قادمين من أوروبا بعد اضطهادهم فيها من قبل الكاثوليك.
٤. أبرز عقائد الأصولية النصرانية هي : العصمة الحرفية للكتاب المقدس - ضرورة رجوع اليهود إلى فلسطين وأحقيتهم فيها - ضرورة بناء الهيكل مكان المسجد الأقصى - المجيء الثاني للمسيح ’.
٥. كل من يقف في وجه عودة اليهود إلى فلسطين يُعتبر عند الأصوليين من أعداء الإله، ويقف ضد الخلاص المسيحي، لأن مجيء المسيح مرتبط بعودة اليهود إلى فلسطين.
٦. يُعتبر المجيء الثاني للمسيح أهم عقائد الأصوليين، وهم يهتمون بهذه العقيدة اهتماماً كبيراً ويبذلون في سبيلها كل ما يستطيعون من جهد ومال.
٧. يعتقد الأصوليون أن المسيح ’سيقود قوى الخير لمحاربة قوى الشر في سهل هرمجدون، وسينتصر عليهم ويُقيم بعد ذلك ملكه الذي يمتد ألف عام ينشر فيه العدل والسلام والرحمة وبعد ذلك ينتهي العالم.
٨. صهيونية الحركة الأصولية، والعبث اليهودي بها إلى أن اتخذت النبوءات التوراتية صلب دعوتها، وعماد فكرها، وهذا الاتجاه انعكس على تعاملها مع الواقع، فانجرفت بلا ضابط، ولا وازع من خلق، أو دين، أو قانون في تأييدها المطلق لكل ما يدعم إسرائيل، ويثبت وجودها، ويضمن استمرارها وبقاءها .
٩. تمكن الحركة الأصولية النصرانية سياسياً في الغرب، وصل إلى المراكز العليا في السلطة، فكثيراً ما كان الرؤساء الأمريكيون يجاملونها، ويتلمسون رضاها، بل إن عدداً منهم كان أصولياً، وينتمي للحركة الأصولية.

تم بحمد الله

فإن اصبت فمن الله وإن اخطأت فمن نفسي والشيطان

اعده اخوكم/ إدارة اعمال١